

فانتازيا فليدخل التنين !



Looloo

www.dvd4arab.com

مقدمة

اسمها (عبير عبد الرحمن)
إنها لا تملك شيئاً من رقة اسمها ، ورشاقة اسمها ..
إن (عبير) ليست جميلة بأى مقياس ، ولا تجيد
القتال أو قيادة السيارات ، وليست عالمة أو أديبة
ممثلة ، ولا تملك مؤهلاً دراسياً محترماً ..
إن (عبير) هى إنسانة عادية إلى درجة غير
مسبوقة .. إلى درجة تجعلها فريدة من نوعها ..
وتجعلها جديرة بأن تكون بطلة السلسلة ..
لقد قابلت (عبير) (شريف) .. خبير الكمبيوتر
الثرى الوسيم - والأهم من هذا - العبقري .. وكان
(شريف) وقتها يبحث عن فتاة عادية جداً ولا تملك
أى ذكاء .. هذه الفتاة ستخضع لاختبار جهاز (صانع
الأحلام) الذى ابتكره ، وهو جهاز قادر على استرجاع
ثقافة المرء ، وإعادة برمجةها فى صورة مغامرات
متكاملة ..
ولأن (عبير) تقرأ كثيراً جداً .. ولأن عقلها مزدحم

سنلقى الكثير من الفيروسات القاتلة .. والسحرة
المجانين .. وأكلة لحوم البشر .. والمرتزقة الذين
لا يمزحون .. وسارقى الأعضاء البشرية .. والعلماء
المخابيل ..

سنلقى كل هذا .. ونلقى محاولات طبيينا الشاب كى
يظل حياً .. وكى يستطيع فى الوقت ذاته أن يظل
طبيباً ..

تعالوا نلحق بوحدة (سافارى) فى (الكامبيرون) ..
تعالوا ندخل الأدغال ونجوب (السافانا) ونتسلق
البراكين ..

تعالوا نواجه المرض مع فريق (سافارى) ..



على مرّ السنين .. ولم يكن من حقنا أن نكون جزءاً
منه .. لكن هذا في مقدورنا الآن ..

لسوف نرحل جمعياً مع (عبير) إلى (فانتازيا) ..
نضع حاجياتنا وهمومنا في القطار الذاهب إلى هناك ..
هو ذا جرس المحطة يدق .. وهدير المحركات
يدوى .. إذن فلنسرع !



١- ماذا تختارين ؟

عند الغروب بدأت الطقوس النهائية ..

وكان القوم واقفين يرمقون بذعر ما عساه يحدث ،
(و عبير) نفسها وقفت على بعد أمتار من (جياتغ - سه) ، تمضغ صغيرتها الطويلة فى نهم وجزع ،
بينما اشتعلت المشاعل فى كل صوب لتعطى الكلمة
الأخيرة لهذا الجو الكابوسى الخائق .. رائحة الشحم
المحروق الممزوجة بالعرق ، والدخان الذى يهيج الحبال
الصوتية ، وحرارة الجو الثقيلة .. ثم الوهج !

آه من الوهج الذهبى الكريه للنيران يرسم على
الوجوه القلقة ألف ظل وظل ! ظلال تولد وتتلشى
بذات السرعة الخاطفة التى يولد فيها هذا القبس
أو يخبو ..

ومدت يدها إلى صدرها تتحسس القلادة .. تستطيع

أن تتخلص منها الآن .. تستطيع أن تلقىها فى أى
مكان .. إنها تراث الأجداد وقسم مقدس ، لكن
الضرورات تبيح المحظورات ..

مدت يدها إلى القلادة ، وعالجتها فى رفق ..
ولكن .. آى ! إنها ساخنة كالنار ! إنها قطعة من
حديد محمى يحرق الأنامل بلا رحمة ..

هذه لعنة يصعب الخلاص منها ، ولا يوجد مفر
من أن تواجه قدرها بشجاعة ، وأن تتحدى التنين ..
ومن يدري ؟ لربما تظل حية كذلك ..

★ ★ ★

بدأ كل شىء كما تعلمون برحلة فى (فانتازيا)
مع المرشد ..

يتساءل البعض - ومعهم كل الحق فى ذلك - عن
مصير الخطاب الذى وجدته (عبير) فى جيب
(شريف) ، وكيف واجهت الأمر كله ؟ أقول لهم :
إن (عبير) ليست من هؤلاء الذين يتخذون قرارات

قاطعة حاسمة بسهولة .. لقد أرجأت التفكير فى الأمر إلى ما بعد ، وقررت أن تؤخر لحظة المواجهة قدر الإمكان .. وكانت بطبيعتها تعرف أن المواجهة ستكون عنيفة باترة ، وأنها ستقول كلاماً شرساً ، ولسوف يرد (شريف) بكلام أكثر شراسة .. إن الطلاق ذاته لم يعد مستحيلاً إلى هذا الحد ، خاصة أنها لن تصدق حرفاً مما سيقوله (شريف) ، ولكم وددت لو تصدق ..

وكانت (عبير) فى طفولتها تلجأ لواحدة من حيلتين ، كلما ضاقت بها السبل ولم تعرف كيف تواجه الواقع . كانت تندس فى سريرها وتقرأ حتى تحمر عيناها ، أو تندس فى سريرها وتحلم حتى يوقظها أحد .. وفى الحالتين كانت تحلم .. بعينين مفتوحتين أو مغلقتين .. المهم أنها تحلم وأنها تهرب من معركة الواقع .. سمّ هذا سلبية أو سمّه جبنًا ، لكنه حل يصلح لـ (عبير) وحدها ولا يناسب سواها ..

كانت تعرف أن المواجهة قادمة لا محالة ، لكنها

فضلت أن تؤجلها قليلاً .. ودخلت فراشها صامتة
ساهمة كاسفة البال ، وراحت تتذكر مغامرتها على القمر
مع (جول فيرن) و (ه . ج . ويلز) ، بالطبع لأنها
كانت آخر من يريد التفكير فى الواقع الآن ..

وصحت فى السادسة على بكاء الطفلة تريد شيئاً
ما ، من الأشياء التى يبكى الأطفال دائماً بسببها فى
السادسة صباحاً ، والتى - للأسف - لا يعرف كاتب
هذه السطور شيئاً عنها ، لأنه يفضل أن يكون
مسئولاً عن وشق الإستبس ، ولا يكون مسئولاً عن
رعاية رضيع ..

فى العاشرة حملت الطفلة على ذراعها ونزلت إلى
السوبر ماركت القريب ؛ لتبتاع لوازم الغداء ، ثم
عادت فطهت شيئاً ما بشكل مرتجل ، وكانت الطفلة
قد قررت أن تظفر بنوم الظهيرة المعتاد .. النوم
الذى يبدأ فى الثانية عشرة ظهراً ويستمر حتى
الثالثة بعد الظهر ..

(شريف) - الوغد - لن يعود قبل الخامسة مساءً ،

وفى الغالب سيكون هذا هو الوقت ليعطى تفسيراً ..
والتفسير لن يقنعها حتماً ، ولسوف يكون هناك الكثير
من الصراخ والهستيريا ، ولسوف تطلب أياها
ويطلب هو أمه فى الغالب ، وبعدها لن يكون مفر من
اشتعال البنزين ، لأن القادمين لن يمارسا دور
المصلحين الاجتماعيين طبعاً .. تباً لـ (شريف) ..
إنه هو المسئول عن كل هذا ..

وهكذا قررت أنها بحاجة إلى القليل من (فانتازيا) ..
القليل منها جداً قبل أن تأتى (لحظة الحقيقة) ..

إن (فانتازيا) هى المهرب الوحيد أمامها الآن
فى عالم مصمم على أن يقهرها ويحطمها .. حيث
لا يوجد سوى سبيلين للفرار : إلى أعلى أو إلى داخل
الكمبيوتر ، حيث عالم الأحلام الافتراضى ينتظر ..

جلست على المقعد المختار ، وكانت تعرف أن
المغامرة لن تستغرق أكثر من ساعة على الأرجح ..
لن تصحو الطفلة لأنها لم تفعل هذا منذ ولدت ..

ثَبَّتَ الأَقْطَابَ عَلَى رَأْسِهَا ، وَضَغَطَتْ عَلَى مِفْتَاحِ
الإِدْخَالِ ، وَبَدَأَ (دى - جى - ٣) يمارس مهمته
الساحرة ..

★ ★ ★

وَمِنْ وَسْطِ الضَّبَابِ يَلُوحُ لَهَا الْمُرْشِدُ قَادِمًا فِي
تَوْدَةٍ ، وَكَانَ يَلُوحُ بَعْضًا صَغِيرَةً مِنَ الأَبْنُوسِ عَلَيْهَا
بُضْعَةٌ زَخَارِفُ ، وَمِنْ بَعِيدٍ يَقِفُ قَطَارُ (فانتازيا)
المُضْحَكِ ، وَالدِّخَانُ يَتَصَاعَدُ مِنْ مَدْخَنَتِهِ الأَمَامِيَّةِ ،
وَهْدِيرُ المَحْرَكَاتِ لَا يَنْقُطِعُ ..

سَأَلَتْهُ مَشِيرَةً إِلَى العَصَا :

- « أَيْنَ القَلَمُ ؟ »

- « ضَاعَ .. إِنْ الأَقْلَامُ تَضِيْعُ مِثْلَ أَى شَيْءٍ آخَرَ »

- « هَذَا لِحَسَنِ حَظِّى .. لَا بَدَّ أَنَّكَ شَفِيتَ مِنْ دَاءِ

الـ (تَكَ تَتَكَ تَكَ !) »

- « لَيْسَ تَمَامًا »

إلا من خطر داهم يتهددنا ، فلو كان الواقع أجمل لما
رأيت وجهي هنا أبداً .. »

تنهد وقال وهو ينظر من النافذة :

- « كما يقول (كامى) : ليست مشكلة الحياة
أنها كريهة لا تطاق .. المشكلة أنها كان يمكن أن
تكون أفضل بكثير .. ما علينا .. هل اتخذت قراراً
بصدد مغامرة اليوم ؟ »

فكرت قليلاً وحكّت شعرها .. نظرت خارج النافذة ،
فرأت (زورو) بعباءته السوداء يبارز مجموعة من
الجنود المكسيكيين الأوغاد ، وبعد خطوات قليلة
تتقدم (أندروميذا) العذراء الجميلة إلى البحر قرباتنا
للأخ التنين (كراكون) المتحمس ، الذى أرسله
سادة (الأوليمب) انتقاماً من غرور أمها الحسناء
(كاسيوبيا) . وكل العذارى فى الأساطير الإغريقية
لا نفع لهن عموماً إلا كقرايين ..

بعد هذا ، ترى (غنرة) العبسى يتقدم قافلة الألف

ناقة عائداً من عند (كسرى) ، والألف ناقةً بالطبع
هى مهر (عيلة) .. وفى مكان آخر يقتاد الجنود
(ديمترى كرامازوف) بتهمة قتل أبيه وهو لم
يفعلها ، وتلقى (أنا كارنينا) بنفسها تحت القطار
هرباً من حب فاشل ، وينقض اللصوص على (أكاي
أكاكيفيتش) ليسلبوه المعطف الذى كان يحلم به من
أول سطر فى قصة (جوجول) الشهيرة ..

(أوليفر تويست) يبحث عن حافظة ينشلها ،
وهو يجهل تماماً فن النشل ، لكنه يخشى أن يضربه
اليهودى (فاجن) .. و...

كانت هناك مدينة صينية قديمة .. الناس
يحتشدون بعيونهم الضيقة ، يرمقون فى انبهار
المواجهة الرهيبة بين فتى عارى الصدر ، له
ضفيرة طويلة تتدلى على ظهره ، وعجوز أشيب
يرتدى ما يشبه المنامة الزرقاء الواسعة . وها هو ذا
الصراع بينهما يبدأ بوثبات لا يمكن أن تصدقها ما لم
ترها .. وعلى سبيل إظهار القوة يهوى العجوز

بسياف يده على جذع شجرة فيشطره إلى نصفين ،
فيبصق الفتى في كفيه ويطلق صرخة مروعة ..

- « ما هذا العالم يا مرشد ؟ »

نظر من النافذة وتثأب ، ثم قال :

- « هذا عالم الرياضات الآسيوية القتالية .. عالم
الكونج فو والجيدو والكراتى والجيجوتسو والـ ... »

- « هل هذا نوع أدبي معروف ؟ »

- « بل هو عالم سينمائى بالكامل .. من الواضح
أنك كنت تهوين تلك الأفلام فى الماضى .. لم تر مصر
أى فيلم كراتى حتى الآن ! »

- « يا سلام ! وماذا عن كل الأفلام الملأى بلرعا
الذين يتبادلون الركلات ويتصايحون : هى .. هو ..
هاه ؟ »

ابتسم فى ثقة كعادته حين يصحح معلومة :

- « هذه أفلام (كونج - فو) فى الواقع ، لكن

غير الخبراء - وهم رجال الشارع فى حالتنا هذه - لا يفرقون بين رياضة آسيوية وأخرى .. إن الغرب لم يكن يعرف شيئاً عن هذه الأمور ، حتى فوجئ بفيلم قادم من (هونج كونج) اسمه (الرئيس الكبير) ، وكان بطله شاباً صينياً نحيلاً اسمه (بروس لى) .. وهنا أدرك الموزعون أنهم أصابوا منجماً من ذهب ، وسرعان ما بدأت دبلجة تلك الأفلام ، وصارت (هونج كونج) تنتجها فى خطوط تجميع - كأنها سيارات - حتى إن تصوير بعض الأفلام كان يتم فى أسبوع .. النتيجة هى أن حمى (الكونج - فو) أصابت العالم بأسره ، وغدا (بروس لى) أسطورة ، وفتحت له السينما الأمريكية ذراعيها ، حتى إن عدد الأفلام التى قام بها بعد موته يفوق كل ما قام به وهو حى !! »

- « كيف ؟ »

- « إنهم مزورون بارعون .. وهم يلعبون على حقيقة أن الآسيويين يتشابهون بالنسبة للمشاهد الغربى ، وبالتالي يصلح أى شخص نحيل أصفر كى يقتع المشاهد

أنه (بروس لى) .. بل واعتمدت بعض الأفلام على
لقطات كبيرة مأخوذة من أفلام (بروس لى) الحقيقية ،
تدمج دمجاً مع ممثلين آخرين يتصارعون .. المهم أن
هذه الأفلام بيعت كالكعك الساخن .. على كل حال لم
تعد تلك الأفلام بالنجاح القديم لها ، وصارت الأفلام
الحديثة - على غرار أفلام (جاكى شان) - لا تأخذ
نفسها بجدية مطلقة .. إنها أفلام صنعت بالكامل من
أجل المرح .. »

كنت (عبير) تتذكر .. لقد رأيت بعض هذه الأفلام
بالفعل مع خالها ، وكان هو يعتبرها أعمالاً مقدسة
لا تحتل مجرد المناقشة ، وبالنسبة له كان
(بروس لى) وسواه أشخاصاً حميمين جداً كأنهم
من نفس شلة الحارة .. بينما هى بطبيعتها الحالمة
لم تفهم كل هذه الجاذبية فى أناس يضربون بعضهم
حتى تسيل دماؤهم أو تنفجر بطونهم .. ولم تفهم قط
فيلمًا واحدًا منها بضمير مستريح ؛ لأن مقص الرقيب
كان يمارس عمله بحرية تامة .. دعك بالطبع من

النسخة الرديئة التى ليس لها سوى لونين : الأصفر
والبنى الخشنين المليئين بالخدوش .. وأمكنها - برغم
قلة ما رأت - أن تميز نوعين من تلكم الأفلام :

أفلام رعا ع (هونج كونج) نوى القمصان المشجرة ،
الذين يضربون المارة فى الشوارع ، ويهربون المخدرات
ويتحرشون بالنساء طيلة اليوم .. وأفلام (الخان
الأعظم) التى تدور أحداثها فى الصين القديمة ،
حيث الحكماء بلحاهم الطويلة والأميرات الجميلات
ذوات الصفائر ، والسيوف المسحورة ..

من هنا - تذكرت - جاءت بها كل هذه الخبرات عن
هذه الأفلام ، وأدركت أن المغامرة فى هذا العالم هى
- من جديد - مغامرة من تلك التى لا تستند إلى نص
أدبى أو تاريخى ، ومثلما حدث فى مغامرتها مع
الغرب الأمريكى .. لم لا ؟ إن السينما تشكل الكثير
من وجدان إنسان العصر سلباً أو إيجاباً ، ويقال إن
التليفزيون لعب اليوم فى حياة الغربيين نفس ما كان
يلعبه (ديكنز) فى حياتهم قديماً ..

لِمَ لا تجرب ؟ إن (فانتازيا) قادرة على جعلها
تعيش المغامرة بتفاصيلها بدلاً من أن تتفقدھا .. وعلى
كل حال لا بد من الاختيار ، وهى زاهدة اليوم كل
الزهد فى الاحتمالات الأخرى التى رأتها حتى الآن ..

- « دعنى أجرب هنا يا (مرشد) .. »

ثم رفعت إصبعها منذرة :

- « لكن دعنى ألعب دورًا إيجابيًا .. إن النساء
فى هذه القصص لا يتجاوزن دورهن دور الضحايا
الصارخات معدومات الحيلة .. كأنهن دجاج ينتظر
الذبح .. أريد أن ألعب دورًا .. »

- « سأفكر فى هذا .. أحسنت إذ أخبرتنى مسبقًا .. »

وشد الحبل ليوقف القطار ..

ومن هنا بدأت مغامرة جديدة ..

★ ★ ★

٢ - المعلم ..

الآن هي ترتدى ما يشبه المنامة الزرقاء الواسعة ،
وعلى كتفها تتدلى صغيرة جميلة غزيرة الشعر ،
طالما اشتتها في مراقبتها .. قدماها الدقيقتان في
خف قماشى مريح ، وتعرف أن اسمها (فو - لى) ..
لا بأس .. إنه اسم سهل النطق يمكن أن يعلق
بالذاكرة .. وتذكر أنها رقيقة جميلة خفيفة الحركة ..

إنها تدخل مدينة .. مدينة تمت لعالم الشرق
الأقصى طبعا .. معابد بوذية وكونفوشيوسية فى كل
صوب وسوق - دائما السوق فى بداية كل مغامرة
لها فى (فانتازيا) - وفرسان ، ونساء يحملن الماء
على أكتافهن بتلك العصا ، التى تحمل قربة عند كل
طرف .. عربات ريكشا يركبها أثرياء يرفلون فى
الحرير ، ويجرها فتية ناحلون ممزقو الثياب يعانون
سوء التغذية ..

المشهد يذكرها بالنوع الثانی من أفلام القتل الآسيوى :
 أفلام الخان الأعظم التى تقع فى الصين ذاتها فى فترة ما
 من تاريخها ، قبل أن يطيح (صن يات صن) بكل
 الأباطرة السابقين .. والطريف فى الأمر أن كل شيء
 كان مصبوغاً باللون الأصفر والبني كما اعتادت فى
 تلك الأفلام .. حتى أوراق الشجر كانت بنية اللون ..
 كل شيء حولها مزخرف جميل .. وكل شيء عامة
 فى الصين له طابع صينى زخرفى لا تخطئه العين ..
 حتى الطيور المحلقة واللجاج والأشجار وأسقف البيوت ..
 كأنما رسمت كلها بريشة مثقلة بالحبر الشينى ..
 تتوقف عند بائع البرتقال لتأمل البرتقال الأنيق ..
 أروع برتقال يمكن أن تراه فى حياتك ..
 يغريها البائع ببضاعته ، فيتكلم بتلك الطريقة
 الشبيهة برنين الأجراس ، والتى تفهمها كالعادة :
 - « هلا جربت أفضل برتقال فى المدينة المسحورة
 أيتها الحسناء الغريبة ؟ ما اسمك ؟ »
 - « اسمى (فو - لى) .. وليست معى نقود .. »

من الممتع أن تفهم الحوار مباشرة دون ترجمة
على الصدور ، أو دوبلاج يجعل حركات الشفاه غير
متسقة مع مخارج الأحرف ..

يمد يده لها ببرتقالة ، وينحنى بعنف :

- « هي لك مكافأة على هاتين الغمازتين .. »

مدت يدها لتأخذ البرتقالة شاكرة ، فقط عندما
بدأت المتاعب ..

★ ★ ★

والمتعاب الجديدة هنا لم تتخذ شكل خيول راکضة
أو كلب مسعور أو حصان ثائر - كما هي العادة في
(فانتازيا) - ولكن اتخذت شكل مجموعة من
الأوغاد ..

كيف عرفت أنهم أوغاد ؟ هذا سهل تماماً
ولا يحتاج إلى موهبة .. الأوغاد هم الأوغاد سواء
في حارتها أو في الغرب الأمريكي أو في المدينة
المسحورة كما دعاها البائع .. نفس الضحكة

السمجة والمشية المتثاقلة الممتدة والعينين الآثمتين
المليئتين بالسايكوباثية .. أطلق البائع سبة صينية لم
تفهمها ، وتراجع للوراء ، بينما الأوغاد يتسلون بركل
السلال هنا وهناك ، وتوجيه بعض الصفعات إلى
أقفية الشيوخ ، وما إلى ذلك من النشاطات المحببة
للرعا ع حول العالم ..

أخيراً وجدها ، وكان من المحتم أن يتحرشوا بها ..
أولهم - وزعيمهم - دنا منها في ثقة ، وهو يلوك
شينا ما ، ثم مد يداً وقحة يتحسس بها شعرها ،
وقال :

- « ما رأيكم يا رفاق ؟ بحق السيف الذي سيطير
عنقى إنها لغدورة .. »

أبعدت يده في عصبية ، لكنه بدا مستمتعاً بكل
هذا .. ومن وراء منضدة البيع صاح البائع :

- « (سونج بياو) ! دع هذه الفتاة فإنها ليست
من طرازك ! »

بصق ما كان يلوكه فإذا بها بعض الزلابية ، وقال
وهو يرمق الشيخ :

- « وما طرازي ؟ حذار أيها الشيخ .. إنك تؤشك
على إثارة حنقى .. »

وصاح صائح منهم :

- « لماذا لا نصحبها معنا يا (سونج بيلو) ؟ إننا
سنحكى لها الكثير من قصص ما قبل النوم !! »

ومعه انفجروا ضاحكين على الدعابة القوية ، وخطر
لـ (عبير) المذعورة أن دعابة الصينيين عسيرة
الفهم حقاً ؛ فهم ينفجرون ضحكاً بلا سبب أحياناً ..

الموقف سيئ .. فالحقيقة أنهم يحيطون بها تماماً
الآن ، وعددهم لن يقل عن العشرة بحال .. والناس
فى السوق تظاهروا بأنهم لا يرون شيئاً ، واصطنع
كل منهم أذناً من طين وأخرى من عجين ..

وجدت ثغرة ما فى صفوفهم ، فأحنت قامتها
واندلعت كالوشق تحاول عبورها ، فقط لتجد وغداً

منهم يقف فى وجهها ، ويتحسس قلبه كأنما طعن فيه ، بحركة هيام تمثيلية ، فينفجر الجميع ضحكاً ..
أما من نهاية لهذا الموقف ؟ لابد من نهاية ما ..
تجرب ثغرة أخرى ، لكنهم أحبوا هذه اللعبة ،
وسرعان ما أغلقوها أمامها .. لا مفر من هنا ..
ولسوف يظل الناس صامتين مسالمين حتى يحملها هؤلاء الأوغاد إلى وكرهم حملاً .. قررت أن تبدأ العراك .. إن المرأة تملك سلاحين بتأرين هما أنظفارها وأسنانها ، وبهما تستطيع أن تهزم الجيوش ..
ليكن .. ستعض وتخمش وتركل .. ثم ..

هنا ظهر العجوز (هياو - شى - فاتج) ..

★ ★ ★

منحنى القامة كأنه جذع شجرة عجوز .. لحيته توشك أن تلمس الأرض فيتعثر فيها .. ثيابه أقرب إلى الأسمال .. تجاعيد وجهه كأرض عرفت الجفاف دهوراً ..

يدنو منهم ، ويضع قبضتيه المرتجفتين فى
خصره ، ويقول بصوت واهن :

- « (سونج بياو) ! دع الفتاة وكف عن هذا
السخف .. »

يا لك من شجاع يا جدى ! لكن لا تتعب نفسك ..
فهؤلاء الأوغاد لن يتركوك من أجل شيخوختك ..
إنهم يضربون الشيوخ بحماس ، وقد رأينا الكثير من
هذا منذ ثوان ..

لكن - الغريب - بدا شيء من اهتزاز الثقة على
وجه الفتى ومن حوله .. لقد تراجعوا للوراء بضع
خطوات ، ولمحت - لذهولها - رجفة واضحة فى
ساقى أحدهم .. وقال (سونج بياو) وهو يهز كفه :

- « (هياو - شى - فاتج) .. لا شأن لنا بك
ولا شأن لك بنا .. نحن قد شربنا الكثير من الجعة ،
وقد دفعنا هذا لطلب بعض المرح .. لا شيء .. »

قال الشيخ فى ثبات وهو يتقدم نحو الفتية :



يدعو منهم ، يصع قصبته المرتجفتين في حصره ، ويقول بصوت واهن :
' (سرج سيار) ' دع الفتاة وكف عن هذا السخف ...

- « إن مرحكم يذكرني إلى حد ما بقطع الطريق ..
ولئن لم تنتهوا الآن .. »

- « نعرف .. نعرف .. معذرة يا (هياو - شى -
فاتج) .. »

وفى الثانية التالية كانوا قد اختفوا من السوق
تماماً ..

من هو هذا الـ (هياو - شى - فاتج) ؟ هل هو
الحاكم ؟ لا أحد سوى الحاكم يملك هذه السلطة
القوية .. لا يمكن أن يكون أب واحد منهم ؛ لأن
صيغة الحوار لا توحى بهذا .. ونظرت - متساعلة - إلى
البائع الذى كان الآن راكعاً خلف المنضدة تحسباً
للقاتل القادم ، وسألته :

- « من (هياو - شى - فاتج) هذا ؟ وما سلطته
على هؤلاء الفتية ؟ »

نهض مطمئناً ، وقال وهو يعيد تنسيق البريقال
الذى سقط أرضاً :

- « سلطة القوة طبعًا !! »

- « هذا الشيخ ؟ إنه مومياء تم تركيب محرك لها ..
أكاد أحسب أن عامين مرا على وفاته .. »

قذف برتقالة في الهواء وتلقفها ، ثم ناولها إياها ،
وضحك متهمًا :

- « حين رأيته قادمًا اعتبرت هؤلاء الأوغاد موتى ..
إنه ليوم حظهم في الأبراج .. »

- « لم تجبني عن سؤالى عن كنه هذا الـ (هياو -
شى - فاتج) .. »

نظر إلى بعيد حيث كان العجوز يبتعد فى وهن ،
وقال :

- « إنه أستاذ القتال بطريقة (تشوب سيوى) .. »

★ ★ ★

وتواصل (عبير) جولاتها فى السوق الذى صار
أمنًا الآن ، ولم تستطع أن تبعد عن ذهنها صورة

العجوز (هياو - شى - فاتج) الذى تحدّى عشرة من
البلطجية ، بمجرد القوة النفسية لا أكثر .. أما عن
طريقة (تشوب سيوى) هذه فلا تعرفها ولا يهمهما
أن تعرفها .. إن كل شخص فى هذه البلدان فى هذا
الزمن ، قد اتخذ لنفسه على ما يبدو أسلوباً متفرداً
فى القتل ، وهى لا تفهم هذه الأمور .. ثمة رياضات
يركلون فيها أكثر من اللازم ، وأخرى يصرخون
فيها أكثر من اللازم ، ورياضات يصيحون فيها :
كاييبييى ! ، وأخرى يصيحون فيها بصوت رفيع
كالسحلية : هيببى ! ليس لديها المزاج الرائق كى
تتذكر كل هذا ..

لكنها كانت متأكدة من شىء واحد : لو كان هذا
الزمن خطراً إلى هذا الحد ، فمن الطبيعى جداً أن يتعلم
كل إنسان كيف يبقى حياً يوماً آخر .. ترى كيف يبدو
حاكم هذه البلاد ؟ وكيف يسيطر على كل هؤلاء البلطجية
الذين هم شعبه ؟ بالتأكيد هو أبرع من يلعب الكونج فو
هنا ، وهو قادر على هزيمة كل معارضيه .. لا توجد
شرعية أخرى لحكمه على ما يبدو ..

كانت هناك مجموعة من الأطفال - الأوغاد
بالمناسبة - يتسلّون بقذف الحجارة على كلب صغير
أجرب باتس ، وكان المسكين يحاول الفرار أو التّكشير
عن أنيابه ، لكن الحصار أرغمه على أن يقف
وظهره لجدار ، فراح يطلق ذلك العواء الشبيه
بالصرير والذي يمزق نياط أقسى القلوب .. لكن من
قال إن الصبية لهم قلوب أصلاً فضلاً عن أن تكون
لهم نياط ؟

هرعت إليهم وصاحت منذرة بالويل ، وقالت
أشياء على غرار : بس يا ولد منك له ! وصفعت
اثنين منهم بخفة على الكتف .. لو كانت في حارتها
لقذفت ماء الغسيل المتسخ عليهم ، وأمرتهم باللعب
في مكان آخر ..

تفرّقوا وهم يطلقون عبارات السباب
الكونفوشيوسى البليغ ، فتجاهلتهم واتحنت تربّت
على المخلوق النعس القذر .. متسخ هذا صحيح ،
ولكن من قال : إن النظافة حق للمنبوزين ؟

حملته دون حذر .. لو كان أجرب حقاً فهي في مشكلة ، لكنها لا تبالي أمام عذابه .. واتجهت إلى امرأة تضع قطعاً من لحم الدجاج النيء على منضدة أمامها .. وطلبت منها قطعة ..

بدا التردد على المرأة ، فوضعت (عجير) للبرتقالة أمامها على سبيل المقايضة .. ناولتها المرأة قطعة دامية من الجلد التصق بها بعض الريش واللحم ، فأخذتها إلى جوار جدار ووضعتها أمام الكائن النعس .. كان جائعاً كالبعوضة الصغيرة ، وراح يزدرد في لهفة كمن يتوقع أن يحرم من هذا الترف في أية لحظة ..

استدارت إلى المرأة تفكر في أن تشد منها قطعة أخرى ، هنا وجلت المرأة تنظر إلى ما وراء الجدار ، في شيء من التوتر والتهيب ..

كان (هياو - شى - فانج) واقفاً هناك يرمق المشهد بعينيه الغائمتين العجوزتين ..

فتحت فاهها لتتكلم ، لكنه تكلم أولاً .. قال لها في رضا :

- « القوة الحقيقية هي في حب ما لا يجرو الفاتون
على حبه .. إن القوة التي تكمن في اللفق بقلب أجرب
منبوذ لقادرة على تحريك الجبال ، وتبديل مسار
الشهب .. »

لم تفهم تمامًا .. لكنها أدركت أنه يمتدحها ؛ لأنها
اعتنت بالكلب .. وقال لها قبل أن تتكلم من جديد :
- « هذا هو كلبى ! »

- « لا يدهشنى هذا كثيرًا .. »

وأرادت أن تصارحه برأيها في عنايته المفرطة
بالحيوانات ، لكنه قال لها :

- « إنه امتحان لمن يصلحون ، وهو دائمًا في
السوق هنا يتصيد المارة ، ودعيني أخبرك أن أحدًا
لم يجتاز الاختبار منذ عشر سنوات .. إنهم يشمنزون
منه أو يقذفونه بحجر ، ولم يخطر ببال أحد أن
البئس جائع .. »

كان الكلب قد فرغ من الطعام ، فلاحق بسيدة وذيله
يهتز ، كأنما يبرهن على صدق كلامه ، وراح يلحق

أسمائه . الاثنان فى حاجة إلى عناية فائقة : الكلب
وسيده ..

- « ما اسمك يا ذات الغمازتين ؟ »

- « (فو - لى) .. »

- « وأنا (هياو - شى - فاتج) .. لكنك اليوم
ستناديننى باسم (المعلم) .. »

- « ولـ .. لماذا ؟ »

- « لأن يمامة مثلك لا تستطيع الحياة وسط هذا
العالم ، من دون أن تتعلم شراسة النمر ، وأنا أعلم
شراسة النمر فقط لمن أجد أنه يستحقها .. وأنت
تستحقين .. أنا وكلبى نعرف أنك تستحقين !! »

٣ - التلميذة والمدرسة ..

هكذا يمكن أن نقول : إن (عبير) لحقت بالمعلم في بيته .. وكان بلا أسرة ولا خدم .. بيت صينى عتيق فقير جداً ، لكن له ما يشبه الفناء الخلفى حيث يجلس الرجل ، ليقراً تلك الكتب الغليظة مصفرة الأوراق التى تركها الأجداد .. وكان يأتى ببعض التمارين هناك ، لكن القسط الأكبر من التمارين كان يمارسه عند البحر ، الذى - كالعادة - يصل إليه عن طريق ممر سرى تحت الأرض ..

كان عجوزاً جداً ، ولم تدرك مدى تقدمه فى السن إلا حين استطاعت أن تدرس وجهه عن كُتب .. أشار لها إلى بساط على الأرض ، وقال :

- « هنا تنامين يا (فو - لى) .. »

وأشار إلى خرقة ممزقة ، وقال بنفس الوقار :

- « وبهذا تتدثرين .. »

ثم أشار إلى سلطانية خزفية صغيرة بها ما بدا لها
كأنه أرز مسلووق تم عجنه بقبضة اليد :

- « ومن هذا تأكلين .. »

وصب بعض الشاي الأخضر البارد في سلطانية
مماثلة وقال :

- « ومن هذا تشربين .. »

يا للروعة ! يا للترف ! إنها عرفت الفقر وتعذبت
به ، لكن أكثر خيالاتها جموحاً لم يصل إلى هذه
الدرجة .. فلو كان هذا المعلم يحاول تدريبها على
حياة الشحاذين ، فمن حقها أن تخبره برأيها في هذا
العز كله ..

قال لها وقد سمع ما تقول في ذهنها :

- « الكبر .. يجب كسر الكبر .. أما الترف فسم ينبغي
للخلاص منه ؛ حتى تجد الحكمة أرضاً تنبت فيها .. إن
التقشف ترياقك ، وعليك أن ترشفيه ببطء وتلذذ .. »

هزت رأسها ، فلم يرق لها الكلام ، لكنها كانت
بحق راغبة فى الاستمرار ، ومعرفة لماذا يملك هذا
العجوز كل هذا النفوذ ..

فما إن جلست ، ومضغت أول قضة من العجين
الكريه ، ورشفت أول جرعة من السائل المر ، حتى
صارت تنتمى لعالم هذا الرجل ..

★ ★ ★

وقف على الشاطئ والريح تطير ثوبه الطويل ،
وتجعل شعر حاجبيه الكث ينسدل على عينيه ،
وصغيرها يجعلها لا تسمع حرفاً مما يقول ، لكنها
تخمنه .. إنه يحمل قدحاً من الشاي الساخن بين
أنامله ، ويقول لها :

- « ه .. ا .. فو .. ها .. نى .. »

بالطبع هو يقول لها : « هيا يا (فو - لى) ..
هاجمينى » .. هذا طبيعى لأنه ما من طريقة أخرى
لملء الفجوات بين الحروف .. لذا تلوح (فو - لى)

بالمذرة التى تحملها ، وهى شبيهة بالتى يحملها
الشيطان فى الصور ، وتنقض عليه قاصدة صدره ،
لكن العجوز يتملص منها إلى اليمين دون أن يبدل من
وضع ساقه أو يهز جذعه .. فتهم من جديد لكنه يثنى
جذعه للجهة الأخرى ، وينتهز الفرصة ليرشف فى تلك
رشفة من الشاي .. تنقض بعنف حتى ليحدث سلاحها
صغيراً وهو يشق الهواء ، لكنه من جديد يتحرك برشاقة
إلى الخلف .. أمام .. يمين .. خلف .. يثب .. ينحني ..
خلف .. أمام .. أسفل .. يمين .. يسار ..

ثم يرشف رشفة أخرى من الشاي ..

تقف أمامه تلهث ككلب فى أغسطس ، وترمقه فى
غل .. الآن لن تجد عسراً فى تحطيم رأسه فقط
لو أعطاها الفرصة .. يقول لها وهو يواصل رشف
الشاي الذى لم تنسكب منه قطرة واحدة :

- « الأعصاب .. الأعصاب .. السيطرة على كل خيط
منها ، والقتال بالعقل لا بالجسد .. هذا هو ما تعلمناه
من (زن) ، وعليك أن تتعلميه منى .. »

ثم رشف آخر جرعة من الشاي الساخن ، وقال :

- « عليك أن تتعلمي أن القتال لا ينتهي .. »

وفي الثانية التالية قذف القذح في الهواء ، وطار

- لا تدرى كيف - لينزع المفراة من يدها بركلة صغيرة ،

ثم عاد إلى مكانه ليتلقى القذح قبل أن يسقط فيتهشم ..

ويواصل جملته :

- « .. إلا حين تقول غرائك إنه انتهى .. »

قالت في غيظ وهي تجاهد من أجل التنفس :

- « هه هه .. هل هذا هو دوري فقط ؟ أن أبرهن

لك كم أنك بارع ؟ هل أنا مجرد أداة للتدريب ؟ »

- « صبراً يا (فو - لي) صبراً .. أنت الآن ارتكبت

ثلاثة أخطاء .. »

في غل قالت :

- « حقاً ؟ لم أبرأتني بهذه الوقاحة من قبل .. »

- « أولاً تساعلت عن دورك ، والتلميذ لا يسأل المعلم

عن دوره ، بل يؤديه خير أداء .. وثانيًا تكلمت بوقاحة
مع معلمك .. فهل كلمت أمك بهذه اللهجة من قبل ؟
إن الأم تساوى عشرة آباء ، بينما المعلم يساوى
أربعين أمًا .. »

- « هذان خطأان لا أكثر .. »

- « الخطأ الثالث هو أنك غضبى .. وحينما تكونين
غضبى يستطيع طفل أن يخدعك .. »

ولوَّح بقَدح الشاي الذى كان يحمله ، وأردف :

- « لو لم يعمك الغضب ، لاحظت أن القَدح كان
فارغًا لا يحوى شيئًا من الشاي ، وأننى كنت أظهار
بالشرب .. خيالك جعلك ترين الشاي الساخن والبخار
يتصاعد منه ، وجعلك تشعرين بمذاقه وحرارته .. »
أسقط فى يدها ، وشعرت برغبة عارمة فى البكاء ،
وسألته بصوت مختنق :

- « حسن .. أنا غبية جاهلة .. أليس كذلك ؟ سأرحل
الآن .. »

تقلصت ملامح وجهه فى ابتسامة ، ذكرتها
بالباذنجانة الفاسدة عند الخضرى ، تلك التى تحولت
إلى كرة من التجاعيد وقال لها :

- « لا أراك غبية ولا جاهلة .. فقط صداً كثير يكسو
روحك من جراء غمسها فى مستنقع المادية ، وسوف
أزيل هذا الصداً كى تعود روحك براءة كما خلقت ..
عندها تدركين أن للروح البراقة جسداً خاصاً بها ،
له خفة النمر وشجاعة النسر وقوة الدب .. »

وهكذا تحملت (عبير) الكثير جداً .. ما كانت تحب
هذه التشبيهات المعقدة التى يستخدمها الصينيون
واليابانيون ، وما كانت لتهوى هذا السيل المنهمر
من قطوف الحكمة ، لكنها قررت أن تضغط على
أعصابها ..

وتتعلم ..

لم تكن أيامها مع (هياو - شى - فاتج) سينة إلى
هذا الحد .. كان الرجل طيب القلب حقًا ، وقد زهد
كل أشكال متع الحياة ، وبللتالى زهد كل الأشياء التى
تجعلنا أشرارًا حين تصطدم مصالحنا بمصالح الآخرين ..
لقد وصل إلى من يسميه بوذا بالـ (كارما) .. لكنه
كان يكره القسوة والشر ، وأسلوب من يؤذون
الآخرين لا لشيء إلا لأنهم يقدرّون على ذلك ، ولقد
حسبت (عجير) نفسها خارج الموضوع تمامًا .. فهذه
الكلمات تغنى البلطجية والسفاحين ورجال العصابات .
لكنه أخبرها بأنها مثلهم إن لم تكن أسوأ .. ألم
تحاول أمس أن تقتل تلك الحشرة التى وجدتّها على
حشيتها ؟ هنا رأت المعلم يرفع يده محتجًا :

- « هل هى مؤذية ؟ هل هى سامة أو يمكن أن
تكون ؟ »

قالت فى ضيق وهى تلوح بالشبشب الذى امتشقته :

- « لا أدرى .. لكنها مقرزة على كل حال ، وهذا
سبب كاف فى رأى كى .. »

- « هـى كذلك تراك مقززة .. ربما أكثر منها ..
لكنك أكبر وأقوى ، وهذا ما يهيك - كما تتخيلين - حقًا
فى أن تسلببها حياتها التى لا تملك سواها .. ربما لم
يكن (سونج - بياو) شريرًا إلى هذا الحد حين
ضايقت فى السوق ، لأنك فتاة وضعيفة ! كان هذا
سببًا كافيا فى رأيه .. »

شعرت بخجل وتخلت عن سلاحها الشبشبى ..
ستترك الحشرة المرعبة وشائها .. إن حياتها مع
المعلم هى مجموعة من الأخطاء التى يتم تصحيحها ..
لكنها - نعترف - كانت تتحسن يوما بعد يوم فى
أدائها الجسدى ، كأنما تلك الدروس الأخلاقية تصب
فى عضلاتها ، ولا أدرى كيف ..

★ ★ ★

وهاهى ذى تقف على الشاطئ فى الموضع المختار
للتدريب .. يقول لها ملوًا بعصاه :

- « ابدئى يا (فو - لى) ! »

فتبدأ ..

والبدء هو مجموعة من الحركات المتواصلة على سبيل (التسخين) .. ثم يندمج المعلم فينزل لها إلى الحلبة ، ويهاجمها بعصاه التى يطوحها فى الهواء وينقلها من يد ليد كالأبالسة ، فتتفادها .. تثب فى الهواء وتوجه له ركلة لا بأس بها أبداً ، لكنه يحجبها بقبضته عن وجهه .. و .. و .. كما قلت لكم إن وصف القتال ممل حقاً ، وهو من اللحظات القليلة التى أقتنع فيها بالمثل (إن صورة واحدة تغنى عن ألف كلمة) ، ذلك المثل الذى لم أقتنع به قط ، وما زلت أجده سخيفاً ..

الخلاصة كما ترون أن (عجير) تتحسن .. تتحسن بشكل لا يصدق .. خاصة لو تذكرنا أن هذه نتيجة سبعة أشهر من المran لا أكثر ..

إن أسلوب (تشوب سيوى) - الذى ورث أسرارهِ (هياو - شى - فاتج) عن أجداده العظام - شبيه إلى حد كبير بما نسميه اليوم برياضة (التايكوندو) ..



ثم يندمج المعلم فينزل لها إلى الحلبة . ويهاجمها بعصاه التي
يطرحها في الهواء وينقلها من يد ليد كالأبالسه ..

أو هو يبدو كذلك لغير المتخصص ، لكن الاعتماد على القبضات أكثر نوعاً ، ولها أسماء مختلفة تحاول تقريب كل قبضة إلى ذهن من يسمع الاسم .. رأس الكبش .. العنكبوت .. التنين .. الثعبان .. الجندب .. إلخ .. طبعاً أنا عاجز عن تمييز هذه القبضات ، لكن (عبير) تستطيع .. بالإضافة لهذا هي الآن تعرف أهم عشر نقاط حساسة في الجسم البشري ، وبشكل يفوق خبرة أى معالج بالإبر الصينية .. إنها تعرف البوابات العشر التى تجتازها الأحاسيس كي تبلغ الروح ، وتعرف كيف تغلقها بضربات مختارة ..

إنها تعرف الصرخة المختارة التى تجمد الدم فى عروق الخصم ، وتعرف أنها لن تطلقها إلا حين تنفذ كل أسلحتها .. إنها تعرف كيف تتحكم فى مشاعر الخوف والغضب ، وكيف تأخذ شهيقاً عميقاً لتخيل معه - بل تدرك - أنها احتوت النرفاتا الحيوية فى الكون داخل رئتيها ، وتشعر بها تسرى مع الدم إلى كل خلية منها .. ومع النرفاتا تدنو ببطء من حقائق

الأشياء ، وتستطيع أن تفهم كيف تثب الذبابة من فوق المنضدة حين تهوى بقبضتك عليها ..

إنها تعرف أن خصومها - مهما بلغ عددهم - ضعفاء جداً واهنون جداً ، وتوشك على الشعور بالشفقة من أجلهم ؛ لأنهم حمقى لا يدركون مغبة تحدى من يجيد أسلوب (تشوب سيوى) ..

إنها تعرف أن مهمتها لا تقتصر على أن تكون أقوى .. عليها أن تكون أفضل .. وعليها أن تدخر قواها لغرض لا تعرفه بالضبط ، لكنها تعرف أنه موجود ..

★ ★ ★

٤ - سرنا الرهيب ..

أخيراً يجلس المعلم العظيم (هياو - شى - فاتج) يشرب الشاي الأخضر ، وهو دائماً يشرب الشاي حين يكون راضياً .. ثمة صبية يلعبون أمام الدار ويتصايحون ويقذفون القاذورات على بعضهم .. تقدم للمعلم بعض الأسماك المجففة المملحة على سبيل (البسكويت) فيمد يده إلى الطبق ، ويلقى بواحدة إلى الكلب الأجرب الذى يبصبص بذيله ، ويقول :

- « هوه هوه .. لم يكن (شنج - لى - موه - فونج) مخطئاً .. »

و (شنج - لى - موه - فونج) هو - عدم المؤاخذه - الكلب ذاته ، وهو اسم جدير به على كل حال ، ويردف العجوز :

- « أنت حقاً مناسبة جداً لتعلم الـ (تشوب

سيوى) ، وقد أبليت بلاءً حسناً ، وكنت بمثابة ابنة
لى .. لقد تلقيت العلم كما تتلقى الأرض الصادية
مياه (اليانج تسى) ، وإننى لأباركك يا (فو - لى)
ذات الغمازتين .. »

فتجثو على ركبتيها وتلثم أطراف ثوبه الممزق ..
هنا ينعقد حاجباه حتى يصيرا حاجباً واحداً كئياً ،
ويقول :

- « لكنى الآن فى مرحلة الشتاء ، وقد وهن قلبى ..
وأعرف أن (هياو - شى - فاتج) لن يعيش ليرى
طير السنونو مرة أخرى .. فلم يبق وقت إلا ليعلمك
أهم الدروس كافة »

قالت له كلاماً مما معناه : الشر برة وبعيد ..
وسوف تعيش لتدفتنا جميعاً .. ولا تقل هذا يا رجل ..
لكنه قاطعها فى حزم وهو يشرب المزيد من الشاى :

- « (جياتغ - سه) .. التنين الحاكم .. حذار من
(جياتغ - سه) »

وكانت (عبير) قد سمعته كثيراً يتكلم عن المدعو
(جيانغ - سه) حاكم المدينة الشهير باسم (اللتين) ..
لكنه كان يتكلم عنه بنفس الصيغة التي نستعِذ فيها بالله
من الشيطان الرجيم .. واضح أن (جيانغ - سه)
لا يمثل إلا الشر المطلق في هذا العالم ..

- « والأدهى أنه أبو (سونج - بيلو) الذي تحرش
بك في السوق ذلك اليوم .. »

هزت رأسها في فهم .. إذن توجد عداوة قديمة
بين العجوز و (جيانغ - سه) هذا ..

- « قد طلب مني أن ألْقن أسلوبى لولده لكنى أبيت ،
وقلت له : إن تعليم الأفعى كيف تلدغ ليس عملى ..
وإن طريقي لا يعرفها إلا من أختاره أنا .. عرض على
الذهب .. الكثير منه .. وعرض على الجوارى ..
الكثير منهن . وعرض على النفوذ كل النفوذ ..
لكنى قلت له : إن كل ما أريد هو أن أجلس في فناء
دارى ، أداعب كلبى الأجرى وألتهم العصيدة .. »

- « وتركك وشأنك ؟ »

- « بالطبع لا .. لقد أرسل لى عشرة من رجاله
المسلحين فى مساء يوم صيفى جميل .. »

- « وهزمتهم ؟ »

- « بل هزمونى ! »

وارتجف حاجباه وتجمدت دمعة فى عينيه ،
فسأله (عبير) :

- « كانوا أقوىاء إلى هذا الحد ؟ »

- « بل كانوا ضعفاء إلى أقصى حد .. نعم هزمتهم
فى القتال ، لكنى هزمت أنا نفسى حين عجزت عن
كبح جماح غضبى ، وأرديت خمسة منهم قتلى ! »

تنهدت (عبير) للصعداء .. حقاً هى بحاجة إلى
قرن كامل كى تتعلم التفكير بطريقة هذا الرجل ..
ما زالت الهزيمة بالنسبة لها لا تغنى سوى تلقى علقة
محترمة .. أما هذا النوع من الهزائم المعنوية ف...

قال مواصلاً اعترافه المشين :

- « إن الهزيمة أمام الغضب أشد خزيًا من ألف هزيمة بيد الأعداء ، وقد كفتت عن تناول الشاي لمدة عامين تكفيرًا عن أرواح هؤلاء الأبرياء .. »

ومد يده في صدره بين أسنانه يبحث عن شيء ما ، وأخرجه في النهاية ، فوضعه في كفها ..

كانت قلادة من معدن نفيس في حجم الكف .. بالأحرى كانت نصف قلادة قد شطرت إلى نصفين عرضيين ، وعلى المعدن حفرت بعض النقوش الصينية التي لم تستطع فهمها ..

سألها :

- « ما هذا الذي ترين ؟ »

تأملتها في غباء ، وقالت :

- « قلادة .. نصف قلادة لو أردنا الدقة .. »

قال في تودة وهو يشرب المزيد من الشاي :

- « أنت لا تجيدين القراءة .. وهذا هو الشيء الذي

لم يسع العمر لأعلمه لك ، لكن لو أجدت القراءة
لوجدت أن هذه لغة صينية قديمة جداً تنتمى إلى
عهد أسلافنا العظام .. »

★ ★ ★

« قليلون من الناس من يعرفون أن نصف هذه
القلادة معلق الآن حول عنق (جيانغ - سه) ، أما
من يعرفون أن النصف الآخر حول عنقي أنا فاثنتان
لا أكثر : أنا وأنت .. وكنا منذ دقيقة واحداً لا أكثر ..

« والقصة تعود إلى نحو قرن ، حين جاء ساحر
هندي شرير إلى المدينة ، وكان يحمل تلك القلادة
فى عنقه . ورأى الناس كيف استعملها ، وفى أية
أشياء جربها ، حتى إن اسم المدينة تغير ليكون
(المدينة المسحورة) إلى الأبد . وكان ما كان .. لقد
تسللوا ليلاً إلى خبائه فضربوا عنقه ، وحاولوا
الخلاص من هذه القلادة بكل السبل الممكنة ، لكنها
كانت تحمل سحراً قوياً ، وكانت مصممة على

الظهور دائماً .. يبدو أنها لا تترك أحداً يحملها إلى خارج المدينة أبداً .. لكن الناس إذ حاولوا تحطيمها وجدوا أنها قابلة للكسر إلى نصفين لا أكثر ، وكلا النصفين يأبى مغادرة المدينة ..

« كان القرار الذي اتخذه الحاكم - وهو أبو (جيانغ - سه) - أن يضع هو نصف القلادة حول عنقه ، ثم ألقى بالنصف الآخر خارج قصره ، وأعلن أن على واحد من الأخير أن يأخذ نصف القلادة الآخر خفية .. يأخذه دون أن يعرف أحد أنه فعل ..

« الفكرة هنا أن ما كتب على القلادة رهيب ، ويفتح أبواباً من الشر لم يحلم بها الحكماء قط .. لكن امتلاك أحد النصفين يترك الملك في حالة من عدم الفهم ؛ لأن معنى النص غير كامل .. فقط حين يلتحم النصفان يكتمل الهول ويعرف الإنسان ما لم يكن له أن يعرف ..

« لك أن تتوقعي أن أهل المدينة أحجموا جميعاً عن النقاط النصف الملقى أمام القصر .. إلا أن طفلاً وجد قطعة المعدن هذه وهو يلهو ساعة الغروب ، وقرر الاحتفاظ بها لأن مظهرها راق له ..

« بالطبع أنت تعرفين الآن من كان هذا الطفل ،
وتعرفين سر هذه القلادة .. القلادة التى احتفظ بها الغلام
تسعين عاماً دون أن يعرف أحد أنها معه .. وفيما
بعد أدرك أنه قام بالعمل الصحيح .. »

وارتجفت شفتا العجوز قليلاً ، وقال فى وهن :

- « لكن الإنسان يموت ، وسوف يحملوننى وقتها إلى
المحرقة لأتحول إلى رماد .. عندها ستمد يد عابثة
إلى الرماد لتخرج منه نصف قلادة ذات أهمية خاصة ..
لا أريد لهذه اليد أن تكون يد (جيانغ - سه) أبداً .. »
- « ولكن أبا (جيانغ - سه) هو صاحب الفكرة ،
وكان بوسعه أن .. »

- « كان رجلاً خيراً يوقد البخور للماتشو .. أعرف
جيداً أنه لم يحلّل فهم المكتوب على القلادة للكاملة ..
أما ولده فهو شيطان رجيم ، وقد قرر أنه بحاجة إلى
القوة ، والقوة لا تكتمل من دون النصف الآخر
للقلادة .. لهذا هو يقلب الأرض بحثاً عن هذا

النصف ، وهو لا يعرف إن كان قد فقد أم أنه حول
عنق رجل ما .. لو وجد (جيتغ - سه) هذا النصف ،
فلسوف ترتجف الأجنة في بطون أمهاتهم لهول
ما سيسمعون .. »

قالت دون تفكير :

- « ولماذا لا تعدم هذا النصف ؟ »

لاماً قل لها :

- « أنت لا تصفين لما أقول .. قلت : إنه من
المستحيل تدمير هذه القلادة أو إخراجها من المدينة .. »

ثم رفع عينيه الغائمتين إلى (عبير) وقال :

- « تعرفين الآن يا (فو - لى) لماذا اخترت أن
أمنحك هذه القوة قبل أن أموت .. إن القلادة من
الآن مسنوليتك وميراث الشرف في عنقك .. »

٥ - فليدخل التنين !

نترك (عبير) وأستاذها للعجوز ، ونتوغل بالكاميرا
فى مكان رهيب ليس من السهل أن تزوره لولا ما تمنحه
لك السينما - والأدب أحيانا - من قدرة على اختراق
الجدران ..

نحن الآن فى قصر الشرير (جيانغ - سه) حاكم
المدينة المسحورة .. كيف يبدو قصر حاكم صينى
شرير ؟ كما تتخيلونه بالضبط وأسوأ .. إنها مجموعة
من الممرات المزدانة بالمشاعل ، وحراس ضخام
الأجساد يرتدون الدروع المزخرفة غريبة الشكل ، وأقبية
يحرقون فيها السجناء - الأبرياء دائما - بالنار ، وقاعة
كبيرة تتأجج فيها النيران يجلس فيها (جيانغ - سه)
محاطا بالمحظيات والحكماء المنافقين ، والحراس
الضخام عراة الصدور الذين يحملون سيوفاً فى طول

قامتك ، والذين لهم شوارب تتدلى على جانبي الفم
من طراز (جنكيز خان) ..

طبعاً شعار التنين الصيني الملتوى مرسوم على
كل الجدران ، وعلى دروع الحراس ، وعلى صدر
(جيانغ - سه) نفسه ..

لا تحاول استفزازة لأنه متعكر المزاج جداً اليوم ،
ليس من مصلحة من يرغب في الاحتفاظ بعنقه فترة
أطول أن يدنو منه الآن ..

أمامه يقف ذلك الحكيم الأصلع يرتجف فرقا ،
وعن يمينه يرقد نمره الأليف يلحق مخالبه كقط ،
ويتلمظ اشتهاً لتعس الحظ التالي الذي سيأمر التنين
بالقضاء عليه .. للأسف لم يكن مذاق هذا الفلاح
الذي التهمه صباح اليوم محبباً .. لربما يعد اليوم
بوجبة أفضل وأكثر دسامة ..

- « وبعد ؟ » -

يقولها التنين وهو يعبث بخنجره الشرقي المتعرج

ذى المنحنیات لست فى أسناته .. يمكننا الآن أن نتأمله
فى رعب .. إته يرتدى ما يشبه (الكيمونو) الأسود ،
وله وجه جدير بالشياطين ، وشاربين طويلين منسدلين
يذكرانك بالأنفاسى ، وحاجبين كثين كحاجبي وشق
الإستبس .. الحقيقة هى أن قليلاً جداً من الأشرار
يمكن أن يحملوا على وجوههم ما يحملون فى قلوبهم ،
بهذا الوضوح الفج .. ملامح من الصعب أن تصدق
وجودها ، تنتمى لذلك المكياج اللفظ المضحك الذى
يضعه الأشرار فى أفلام (الكونج - فو) إياها ..

يقول الحكيم المرتجف وهو - طبعاً - يرتجف :

- « للأسف أيها التنين العظيم .. لم نجد لدى
النجوم السر الذى سألتنا إياه .. »

فينظر التنين إلى أحد رجاله ممن يشبهون ثيران
الجر :

- « وأنتم ؟ هل من أخبار ؟ »

فيقول ثور الجر فى هلع :

- « لا أيها التنين .. لقد فتشنا المدينة بيتاً بيتاً
ويمكن القول باطمئنان إنه لا قلادة هناك .. »

- « لا تكن متفاخراً أيها الخنزير .. لا أحد يمكنه القول
إنه لا قلادة ، لأن القلادة أسهل شيء في إخفائها ..
إنها كالسر الذي تداريه في ضميرك ، فلا يقدر أى
تفتيش على العثور عليه من دون تعذيب ! »
وضغط على العبارة الأخيرة وقد راقته له :

- « من دون تعذيب .. »

يقول ثور الجر وقد تحركت رومانسيته المرفهة
إذ سمع لفظة (تعذيب) ، بنفس الطريقة التي تجيش بها
مشاعرك حين تسمع ألفاظ (نسيم - ربيع - غروب) :
- « المشكلة أيها التنين أن تعذيب المدينة بأسرها
سيكون عسيراً بعض الشيء .. »

- « هذا هو عملنا .. ننجزه مهما كان شاقاً ، لأن
الثمار لا تُمنح للناعسين تحت أشجار السرو .. »
ومد يده يتحسس نصف القلادة المتدلى من عنقه ..

كانت مشكلة أبيه الدائمة هي افتقاره لبعد النظر ..
تخيّل رجلاً يجد تلك القلادة بين يديه ، وبرغم هذا
لا يحاول استجلاء أسرارها ، ويكسرها إلى نصفين ،
ثم يتخلص من أحد النصفين دون أن يكلف نفسه
بمعرفة صاحب الحظ السعيد ..

وحين جاء (جياتغ - سه) إلى عالمنا هذا ،
أدرك أن له هدفاً واحداً مقدساً لن يحيد عنه أبداً :
أن يكون شريراً .. أن يخيف الأبرياء والضعفاء ، وأن
يجعل حياة الأخيار جحيماً .. وهو شيء كان سيحير
علماء الاجتماع جميعاً الذين تساءلوا إن كانت الشخصية
الشريرة نتاج الوراثة أو البيئة ، ولم يكن الأمران
صحيحين بالنسبة لـ (جياتغ - سه) .. لكن هذا
يناسب المقولة الشهيرة : قد يجيء من ظهر العالم
فاسد .. والحق أنه كان فاسداً .. فاسداً من نفس
العجينة العبقريّة التي منها جاء (هتلر) و (هولاكو)
وخطّ الصعید .. لكن الشر بدون قوة لا معنى له .. وكان
(جياتغ - سه) بحاجة إلى القوة ، وقد عرف من

الأسلاف والشيوخ مقدار تلك القوة السديمية التي
تمنحها القلادة الكاملة لمن يملكها .. لكن من له
بالقلادة الكاملة الآن ؟

وحين حضر الموت أباه ، كان (جيانغ - سه)
فى سن المراهقة .. وقال له أبوه وهو يعالج سكرات
الموت :

- « أنت شرير قنريا (جيانغ - سه) .. ولقد ورثت
كل أرواح الشياطين من أسلافنا .. وإبنى لأرتجف
هلعاً من مصير سكان المدينة فى عهدك .. »

ابتسم (جيانغ - سه) فى تواضع ، فهو لم يعتبر
نفسه شريراً قط إلى هذا الحد الذى يدغدغ غروره ..
وحتى هذه اللحظة لم يكن قد فعل أشياء أكثر من
فقاء عيون القطط ، وغرس دبوس فى أذن معلمه ..
مد الأب يده الراجفة فى صدره ولوَّح بالقلادة
قائلاً :

- « أرجوك أن تدفن هذه مع جثتى .. لا تحاول

أخذها .. دعها تمت معي .. هذه وصية أبيك الوحيدة
الذى يقضى الآن نحبها فاحترمها .. »
ثم مات ..

هكذا - بالطبع - كان أول ما فعله (جيانغ - سه)
هو أن مد يده في صدر أبيه الذى لم يبرد بعد ، وأخذ
القلادة ووضعها حول عنقه ، وقرر أن يستفيد منها
في أقرب فرصة .. ولكن كيف ؟

اليوم هو فى منتصف العمر ، وما زالت القلادة
الكريهة لغزا لا يمكن حله ، وهو قد رزق بابن فاسد
مثله .. وإن كان فساد من النوع الذى هو إلى عبث
المراهقين أقرب .. ابن من النوع المستهتر الذى لن
يعرف أبدا كيف يحتفظ بحكمه وكيف يخيف الناس ..

لهذا أدرك (جيانغ - سه) أن الوقت قد حان للظفر
بالقلادة .. النصف الآخر منها ..

لكن كيف يجد الآن ما فشل فى العثور عليه طيلة
حياته ؟

هناك العرافون والمنجمون ، لكنهم يبرهنون كما هي
العادة دائماً على أنهم نصابون ، لا يجيدون سوى
الكلام العائم على غرار : إننا نرى تنيناً ضخماً في
السماء يلتهم النجوم ، ومنه يولد تنين أصغر قوى .
والواحد منهم عاجز تماماً عن معرفة المكان الذي
توجد فيه قطعة ذهب ضاعت منه ..

هناك الجنود ، وهم أكفأ وأكثر شراسة ، لكنهم
- كما قال قائده - عاجزون تماماً عن انتزاع السر
من المدينة بكاملها ، لأن تعذيب خمسة آلاف شخص
مهمة مرهقة ..

إن كيف وأين يجد القلادة ؟

سيقوم الآن بقطع بعض الرؤوس ، علّه بهذا
النشاط اللطيف المحبب له يظفر ببعض الاسترخاء
الفكري ، الذي يجعل أفكاره أصفى ..

★ ★ ★

في اليوم الثالث مات (هيلو - شي - فاتج) المعلم
العظيم ..

كان مرهقاً وقد استبدت الشيخوخة بكل خلية من جسده ، بالإضافة إلى أنه كان محمومًا .. ولكنه نهض من على الحشية التي يرقد عليها ، وطلب من (عبير) / (فو - لى) أن تسنده إلى أن يصل إلى السنديانة الشامخة أمام الدار ، وساعدته حتى أمسك بدورق من الماء راح يسكبه على جذورها ..

ياله من مجهود أحرق لا يستحق مغادرة فراش الموت ، لكن الرجل كان متحمسًا كأنما ستموت الشجرة الباسقة لو لم يفعل هذا الهراء الذى يفضله الآن ، وقال لها بوهن بالغ :

- « هى أختى هذه الشجرة .. وقد أوصيتك بأن تلقى رمادى ليختلط بجذورها .. »

- « اطمئن .. أيها المعلم .. مت .. أقصد نم قرير العين .. »

- « أوصيتك كذلك ألا تعلمى أحدا أسلوب (تشوب - سيوى) إلا من تتوسمين فيه الخير ، وهو قرار



وساعدته حتى أمسك بدورق من الماء راح يسكبه على جذورها ..

لا تقدرين على اتخاذه إلا حين تشيب آخر شعرة فى
رأسك ، ويمر عليك أربعين صيف «

- « اطمئن .. اطمئن .. فقط اصمت قليلاً »

- « يمكنك أن تكسبى عيشك من تعليم أساليب
القتال .. فقط الأوليات .. لكن ليس كل شيء .. »

- « اطمئن .. اطمئن .. لم أر محتضراً يثرثر إلى
هذا الحد .. »

وساعدته حتى عاد إلى الحشية فرقد عليها ، وراح
يسعل ويصق ويمارس كل تلك الأشياء التى
يمارسونها المحتضرون بحماسة .. وراح يشير إلى
عنقها محاولاً قول شيء ما ، فقالت له :

- « نعم .. نعم .. أعرف القلادة .. اطمئن .. إنها

معى »

ابتسم في إرهاق ثم أغمض عينيه ، وفعل آخر
شيء يفعله الإنسان في هذا العالم ..

وهكذا رحل المعلم العظيم ، ووجدت نفسها وحيدة
في المدينة المسحورة ..

★ ★ ★

٦ - مدرسة الثعبان ..

فى القرن السادس قبل الميلاد جاء إلى الصين راهب هندى يدعى (بوديداما) ، حاملاً معه أسلوب الديانة البوذية على طريقة (زن) ، ومعهم أسلوب قتالى للدفاع عن النفس يتكون من ١٨ تمريناً ، وفى الواقع انتشر الأسلوب القتالى فى آسيا بسرعة تفوق انتشار الديانة البوذية نفسها ، وسرعان ما بلغ اليابان ، وقد تشعبت شجرة تلك الفنون القتالية الآسيوية لتتخذ أكثر من اسم ، منها ما نعرفه وما لا نعرفه وما نسينا أننا نعرفه .. الكاراتى (اليد الخالية) ، والكونج - فو (الملاكمة الصينية) ، والجيجوتسو ، والجيدو ، والتايكوندو ، والسومو ، والكندو والإيكيدو ، والتاى شى شوان . وكما هو معروف فإن الكاراتى و (الكونج - فو) هما النوعان الأكثر شعبية بين هذه الفنون .

نشأ الكاراتى منذ أكثر من عشرة قرون ، فى
البداية كتمرين دينى يمارسه الرهبان ، ثم كوسيلة دفاع
يستخدمها الفلاحون العزل ضد قطاع الطرق .

الجيجوتسو فن أقرب إلى الرقى وعدم الإيذاء
لكنه يميل إلى الالتحام الجسدى ، وتوظيف قوة من
يهاجمك فى مصلحتك أنت ، مع توجيه الضربات إلى
الأماكن الحيوية من جسمه ، ومنه تطور الجيدو
والإيكيدو عام ١٨٨٢ على أيدى الأساتذة اليابانيين .

والإيكيدو والتاى شى شوان فنان قائمان على
تحاشى هجمات الخصم عن طريق حركات دورانية ،
مع محاولة لى المفاصل أو إغلاقها ، وهما على العموم
أرقى أنواع الفنون القتالية ، لذا - كالعادة - يحظيان
بشعبية أقل . التايكوندو فن قتالى آخر نشأ فى كوريا
يستعمل الركل أكثر من غيره ، وله أسلوبه الخاص فى
توجيه الركلات فى أثناء الطيران فى الهواء . وقد
غزا العالم ابتداء من عام ١٩٦٠ . الكندو تطوير حديث
للمبارزة اليابانية القديمة بالسيف . أما السومو فهو

رياضة يابانية جداً تقوم على التحام الأجساد العملاقة
الشبيهة بالجبال ، لرجلين تحولاً إلى كتلة من الشحم
والعضلات ، وهو يفتقر بالتأكيد إلى الجمال والرشاقة
الذين تمنحهما باقى الفنون الآسيوية ، لكن له طابعاً
يابانياً حميماً يعرفه العالم ويألفه .

كل هذه الرياضات تركز على ثلاثة عناصر : القوة -
السرعة - التقنية .. والحقيقة أن الرياضات القتالية
والبوذية وفنون اليوجا مع المزاج الآسيوى الميال
للتأمل ؛ كلها أمور متداخلة ممتزجة بشدة ، بحيث
يصعب فصلها ، ولهذا لا يجيد هذه الرياضات إجادة
مطلقة إلا من استطاع أن يبرمج جزءاً من عقله
ليكون آسيوياً ..

(عجير) الآن - بلا فخر - تملك مدرسة لتعليم أسلوب
قتال آسيوى خاص هو أسلوب الثعبان .. وفى هذه
المدرسة هى المعلم الوحيد والناظر والفراش .. سبب
نجاح هذه المدرسة هو أن الجميع يعرف أنها كانت
رعاية المعلم العظيم (هياو - شى - فاتج) ،

وبالتأكيد تعرف الكثير عن أسلوب (تشوب - سيوى)
الغامض الذى أبى العجوز تعليمه لأحد حتى ابن
الحاكم .. وللأسف ما كان أحد يقدر على إرغام
(هياو - شى - فانج) على شىء ..

لكن (عبير) كانت أذكى من أن تمنح أسرارها
المقدسة إلى هؤلاء .. لقد اختارت لنفسها منهجاً
لا بأس به تقوم بتدريسه ، ويمكن أن يكون مبهراً
ولكنه ليس كل شىء ..

وبعد ثلاثة أيام من حرق جثة العجوز - كعادة
المدينة - بدأ الطلاب يفدون إليها ، وقد حمل كل منهم
شيئاً يؤكل على سبيل الأجر : بيك .. تفاحة .. كعك ..
بعض الأرز .. برتقال .. باختصار : كان أجرها
هو أن تظل حية ولا يقتلها الجوع ..

أمسكت بقدر من الشاى الساخن ، وقفت تتأملهم
إذ وقفوا فى فناء الدار ، وكانت قد ارتدت نفس الأسماك
التي كان يرتديها المعظم ، حتى بدت كالشحاذين ، لكنها
كانت تعرف الآن أن القوة الحقيقية تأتى من روح

قوية لا تبالي بهراء الترف والثراء .. وكان تلاميذها
مجموعة من الصبية والفتية المراهقين المتهيبين
المذعورين ..

قالت لهم :

- « الكبر .. يجب كسر الكبر .. أما الترف فسم
ينبغي الخلاص منه ، حتى تجد الحكمة أرضاً تنبت
فيها .. إن التقشف ترياقكم ، وعليكم أن ترشفوه
ببطء وتلذذ .. »

ورشفت جرعة كبيرة من الشاي الساخن ، ثم
أمرت أربعة منهم بأن يهاجموها ..

انقض عليها الفتية ، لكنها تتخلص منهم إلى اليمين
دون أن تبدل من وضع ساقبها أو تهز جذعها ..
هجموا من جديد ، لكنها تثني جذعها للجهة الأخرى
وتنتهز الفرصة لترشف في تلذذ رشفة من الشاي ..
ينقضون بعنف حتى يحدث سلاحهم صغيراً وهو
يشق الهواء ، لكنها من جديد تتحرك برشاقة إلى

الخلف .. أمام .. يمين .. خلف .. تثب .. تتحنى ..
خلف .. أمام .. أسفل .. يمين .. يسار ..

ثم ترشف رشفة أخرى من الشاي ..

وأخيراً تقول لهم فى ثبات :

- « أنتم غاضبون .. لهذا صرتم تفكرون بحماسة ،
ولا تلاحظون جيداً .. »

هنا صاح أحد الصبية اللاهثين :

- « فهمت ! إن (فو - لى) ذات الغلازتين (تبلف)
يا رفاق .. هذا القدر فارغ !! »
- « حقاً ؟؟ »

قالتها وطوحت القدر فى الهواء ، ليتناثر منه
السائل الأخضر الساخن فى كل صوب ..
هذه المرة كان القدر مليئاً فعلاً ، ولم تنسكب منه
قطرة واحدة !

★ ★ ★

ومرت الأيام ، كما فى السينما حين تتطاير أوراق
التقويم فى وجوهنا .. الفارق الوحيد فى (فانتازيا) هو
أن (عبير) تشعر بمرور الزمن حقًا ، لكنها
لا تشعر بملله ولا رتأيته .. هى فقط تعرف أنه
مر ..

تقدم التلاميذ لكنهم لم يصلوا لمستواها بالطبع ،
والسبب هو أنها تدارى سر أسرار العجوز (هيلو - شى -
فاتج) فى قلبها .. لن تعلمهم أبدًا كيف يتنبئون
بالضربة القادمة قبل أن يخمنها الخصم . ولا كيف
يصرخون الصرخة إياها التى يمكن أن تشل أسدًا
وتجعله يولى الأدبار ، ولا نظرة العينين الثاقبة التى
تربك من يراها ..

ولم تدرك أن اليوم آت لا محالة حين تضطر
لاستعمال هذه الأساليب ..

★ ★ ★

نحن الآن فى قصر (جياتغ - سه) الذى اشتهر
بالتنين لأسباب لا أعرفها حقًا . فى الغالب لأن كل

شيء الصين هو تنين بشكل أو بآخر .. عيد التنين ..
باب التنين .. حتى المرض يعالجونه بأسنان التنين
المطحونة .. يبدو لي أن التنين كانت تملأ أرض
الصين وسماءها في وقت بعينه من التاريخ ..

هو ذا (جيانغ - سه) الرهيب وسط رجاله ونسائه
يلتهم قطعة كبيرة من اللحم ، ويتأمل غلاماً ممزق
الثياب متورم العينين في الثامنة من عمره ..

يقول له ثور الجر وهو يجرد سيفه :

- « هل أفتح بطنه الآن أيها التنين ؟ »

يداعب التنين ذقنه بيده التي استحالَتْ أظفارها
مخالب ، ويتأمل الصبي مفكراً :

- « لا أظن .. إنه صغير السن جداً ، ولنسوف
يكون مشهداً قاسياً .. »

ثم أشار إلى النمر المربوط بالسلسلة وقال :

- « دع النمر يلتهمه أمامي .. سيكون هذا أكثر
تسلية .. »

هنا صاح الصبى وقدماه لم تعودا تحملانه :

- « مولاي التنين الأعظم ! أنا لم أفعل ما أستحق عليه الموت .. »

- « نحن من يحدد هذا .. هل تنكر إذن أنك احتفظت بتلك التفاحة ولم تعدها لقصرى ؟ »

- « كنت جائعاً أيها التنين الأعظم ، ومررت بجوار أسوار القصر .. هوت تلك التفاحة على رأسي ، ولم أدر أنها من شجرتكم .. هممت بالتهامها ، لكن الحراس انقضوا عليّ وأوسعوني ضرباً .. »

بدا الرضا على التنين ، وتحسس التفاحة بحنان :

- « هذا هو سر نجاحي يا غلام .. أنا لا أترك شيئاً يضيع من يدي .. ولربما كانت نهايتك قاسية .. لكنها ستعلم الأوغاد الآخرين أن الاحتفاظ بتفاحة تخص التنين هو عمل خطير ، لا يعوضه مذاق التفاح في الكون كله .. »

ثم أشار إلى حارسه أمرا :

- « (شاتج) ! فكوا سلسلة النمر ! »

اتجه (شاتج) إلى السلسلة ، وأخرج مفتاحاً من جيبه وراح يعالج القفل ، فيما بدأ النمر فعلاً يلتهم الغلام بعينه قبل أن يلمسه .. صاح الغلام فى هلع :

- « سيدى التنين ! أنت لن تفعل هذا .. »

- « أعطنى سبباً واحداً يمنعنى .. لكن لا تتحدث عن الرحمة ، فهى موضوع ممل يعكر صفوى »

- « أنا مصمم على أن أفقدى حياتى .. »

- « كلام جميل .. ولكن كيف ؟ »

- « لو أبعدت هذا النمر ، فسوف أخبرك بسر يهكم أمره ! »

نظر التنين إلى رجاله وانفجر ضاحكاً ، ومعه انفجر الرجال ضحكاً على سبيل التملق .. أخيراً قال :

- « هوه هوه ! الغلام يساوم ! هوه هوه ! ياله من تاجر بارع .. الحق أن هذا البائس قد بدأ يروق لى .. »

إته لا يعرف أن بوسعى أخذ ما أريد حين أريد دون
مساومة .. ولكن .. أعد السلسلة إلى عنق النمر
يا (شانج) ولنر ما هناك .. »

نظر الغلام حوله فى حذر ، وقال مرتجفاً :

- « إذن تعطينى الأمان ؟ »

- « هو لك لو كان سرّاً مهماً .. »

- « هو مهم إلى درجة أننى أرغب فى إخلاء
القاعة .. »

- « لا وقت لذلك .. تكلم .. »

قرب الصبى وجهه من وجه التتين ، وقال همساً :

- « للقادة .. نصفها الآخر .. أنا أعرف مكانه ! »

★ ★ ★

٧ - الغمازتان ضد التنين ..

(وليس هذا اسم فيلم من أفلام هونج كونج)

— « ماذا تنتظرون أيها الأوغاد ؟ أدخلوا القاعة
حالا !! »

هذه طبعا كانت من التنين ، الذى جعلت صيحته
الجدران والقلوب والسيقان ترتجف ، وإن هى إلا بضعة
ثوان حتى خلت القاعة من كل كائن يتنفس ، وحتى
النمر تظاهر بأنه لا يسمع ما يقال ...

خلا المكان من البشر ، فاتحنى يمسك بالغلام من
تلابيبه ، ويعيد سؤاله :

— « ماذا قلت ؟ »

الحقيقة أن الغلام لم يحسب أن الأمر بهذه الخطورة ،

وحين رأى ملامح التنين الشيطانية المتقلصة وعينه
شبه الجاحظتين ، كاد قلبه يكف عن الخفقان .. والحقيقة
- نعرف - لم ير أن النمر كان بهذا السوء ..

قال مرتجفا وقد بدت دموعه تسيل :

- « نصف القلادة الذى تبحث عنه .. أنا أعرف
أين نصف القل .. »

- « أعرف أيها الحمار ! لا تكرر نفسك مرتين ! »

- « إتها لدى العجوز (هيلو - شى - فاتج) .. أغنى
عند ربييته (فو - لى) ذات الغمازتين الآن ! »

- « وكيف عرفت هذا كله ؟ »

- « كنا نلعب أمام داره ، ورأيناه جالسا مع الفتاة
يشرب الشاي فى فناء داره ويحدثها .. بعدها انتزع
هذا الشيء من حول عنقه ، وأمرها بأن ترتديه حول
عنقها هي .. »

- « وكيف عرفت أنها القلادة ؟ »

- « إن الأساطير معروفة فى المدينة ، والقلادة التى
تم كسرها إلى نصفين يمكن تمييزها من بعيد .. »
أطلق التنين سراح الغلام وراح يفكر ...

إن الغلام لا يكذب .. لا أحد يكذب بهذا التعقيد ،
ولا أحد يكذب وهو خائف إلى درجة أنه بلل سرواله ..

نعم .. هكذا تبدو الأمور منطقية منظمة كما ينبغي
أن تكون الحياة .. فقط فى القصص التى يحكيها الأجداد
تكون للحياة منطقية مفسرة بهذا الحد ، ويكون لكل شىء
مبرر ما .. تأمل الجوانب الشعرية فى الموضوع ..
القلادة لها نصفان : النصف الأول مع أشر أشرار
المدينة ، والنصف الآخر مع أخير أخيارها .. العدوان
القديمان العتيدان .. قطبا إبرة البوصلة التى اخترعها
الصينيون .. النور والظلام .. الأبيض والأسود ..
وبينهما تتوزع أشنع قوة عرفها الكون بحيث لا يظفر
بها أحدهما ..

هكذا تغدو الأمور واضحة بلا التباس .. على أن

للفارق الوحيد عن القصص هنا هو أن الشر سينتصر ..
بالتأكيد سينتصر .. لماذا ؟ لأن العجوز (هياو - شى -
فاتج) قد مات .. من حسن حظه أنه مات .. وربيبته
هذه لن تصمد طويلاً أمام (جياتغ - سه) للرهيـب ..
التنين .. منذ متى تصمد الغمازتان أمام التنين ؟
ونظر إلى الغلام وابتسم فى وحشية ..

قال الغلام متوجساً :

- « طبعاً ستقتلنى الآن .. وتقول إنك كذبت حين
وعدتـنى بالأمان ، وإتهـ ما كان على أن أصدق شريكاً
مثلـك ؟ كلهم يفعلون هذا »

- « كلا يا غلام .. لحسن حظـك أن الخبر الذى
جئت به أجمل ما سمعت فى حياتى .. لن أفـتك بك ..
ولكنى مضطر لإلقائـك فى السجن حتى لا يتسرب
خبر أننى أعرف .. »

وربّت على خد الغلام فى حنان شنيع ، وقال :

- « هلم يا غلام .. لا تحزن .. سأطلق سراحك



ونظر إلى الغلام وابتمس في وحشية ..
قال الغلام متوجسا : « طبعاً ستقتلنى الآن ، .. »

سريعاً جداً .. وساعتها سترى أشنع تجربة رآها
الناس منذ عهد أسلافنا العظام .. »

★ ★ ★

بالطبع لم تعرف (عبير) هذا إلا متأخراً جداً ..

كانت تمشى فى السوق كعادتها ، وبالطبع كان
استقبالها يختلف كثيراً عن المرة الأولى .. الباعة
يبشون فى وجهها ويلقون لها ثمرات الرمان
والبرتقال ، مع الصفة التى أحبت أن تفتن بها :

- « تحية يا ذات الغمازتين .. يا بنة الشمس
والقمر .. »

كان الكلب الأجرب (شنج - لى - موه - فونج)
يمرح كعادته بقربها ، ثم توارى بين أوتاد الخيام
المنصوبة ، فلم تقلق عليه .. هذه هى مزية أن
يكون الكلب أجرب معدوم الحيلة .. لا أحد يرغب فى
سرقته ..

دنت من بين طبقات قماش الخيمة وأمعت النظر
إلى المشهد التالى :

كان هناك شاب غير مهندم الثياب ، له قامة ولون
بشرة ولون شعر وملامح رجل غير آسيوى ، يسرق ..
نعم يسرق بعض النقاتق من على منضدة بيع ، بينما
البائع متكئ على الأرض منهمكاً فى تدخين الأفيون ..
والأفيون - بالمناسبة - هو الطريقة التى اختارها
المستعمر البريطانى لاحتلال الصين .. إن شعباً غائباً عن
الوعى بفعل الأفيون لا يقاوم مستعمره بحماسة ، هذا
إن قاومه أصلاً .. هل تذكرون موضوع حرب الأفيون
الذى كان مقرراً علينا ، والذى استطاعت عصا الأستاذ
(جودة) مدرس التاريخ أن تحفره فى أذهاننا للأبد ؟
نسيتموه برغم العصا ؟! رباه ! كنت أود أن أذكركم
به ، لكن هذا استطراد طالما أثار الحنق على كاتب
هذه السطور .. فلنعد للسياق إذن ..

كنت أقول : إن الفتى كان يسرق النقاتق ، ووقفت
(عبير) ترمق هذا المشهد المذهل فى فضول ..

وهنا أدركت أنها لن تبلغ القوم عن الفتى .. لا لن تفعل .. السبب هو أن هذا فتاها بالتحديد .. ملامح زوجها (شريف) التى لا تخطئها أبدا .. ومعنى هذا أنه سيكون عليها أن تحب هذا الفتى وترتبط بمصيره طيلة القصة .. الروتين دائما .. الروتين .. لقد تعلمت هذا مرارا فى (فانتازيا) ، ومن الحق إذن أن تفسد كل شيء باستدعاء القوم ..

هنا ابتعد الفتى عن المنضدة وقام بعمل غريب بعض الشيء .. لقد ابتعد بضع خطوات ، ثم انحنى ووضع النفاق على الأرض أمام شيء ما .. كلبها الأجرى على وجه التحديد ..

ما معنى هذا ؟ هل معناه أن عليها تعليمه أسلوب (تشوب سيوى) ؟ ليس بهذه البساطة ، وليس من واجبها تعليم هذا الأسلوب لكل من يطعم كلبها .. ثم إن كلمات المعلم الأخيرة كانت واضحة لا لبس فيها :

« أوصيك كذلك ألا تعلمي أحدا أسلوب (تشوب

سيوى) إلا من تتوسمين فيه الخير ، وهو قرار
لا تقدرين على اتخاذه إلا حين تشيب آخر شعرة فى
رأسك ، ويمر عليك أربعون صيف »

★ ★ ★

« أنت أيها اللص !! »

دوت الصيحة فالتفتت إلى الوراء لتجد البائع قد
أفاق أخيراً ، ورفع الساطور يريد أن يفلق به رأس
الفتى ..

وسمع القوم فى السوق النداء ، فهرعوا بالغوغائية
المعتادة يلحقون بالمشهد ، وتعالى السباب .. أما الفتى
فوقف متجمداً كفار وقع فى مصيدة .. منات الوجوه
الصفراء تحيط به ، حتى غدا من العبث أن تقتنعهم أنه
سرق لإطعام كلب جائع .. هنا بدأ يفعل أشياء غريبة ..

رائته (عبير) يكور قبضتيه .. وقد فرد أحد الزراعين
للأمام ، بينما ضم الذراع الآخر كأنما ليحمى وجهه ..

وراحت ساقاه تهتزان جيئة وذهابا ، وهو يتواثب
للأمام والخلف .. دنا منه أحد الصينيين ليلقته درسا ،
لكن قبضة الفتى طارت كالبرق لتلطم فكه .. ترنح
الرجل ثم هوى كالدن الثقيل ..

إنه يتحدانا إذن ذلك اللص الأوروبي !

وتقدم رجل ضخم الجثة كى يؤدب الفتى ، وعلى
وجهه تعبير أنه لا يحب هذا المزاح .. طارت قبضته
نحو وجه الفتى ، لكن هذا انحى فى رشاقة ليتفادى
القبضة ، ثم طارت قبضته لتدفن نفسها فى لحم بطنه
الرخو .. أوععع ! قالها وتكور على نفسه ، وسال
دم كثير من فمه ..

- « هذه طريقة قتل الشياطين ! هذا الفتى شيطان
متنكر ! »

ويقدم القوم واحدا بعد آخر ، لكن الفتى يتواثب
كالماتجوس حول الكوبرا ، ومن آن لآخر يسدد ضربة
قاتلة إلى بطن أو صدر أو فك خصمه ، فيسقط هذا
أرضا .. الخلاصة أنه جندل خمسة منهم ..

حمل القوم عصيهم وقرروا أن يهجموا في الوقت ذاته .. إن الفتك بهذا الفتى سيكون متعة دونها مصارعة الديكة في حانة (فان - كوان) العجوز .. وبدا للحظة أن الأمر منته .. هنا ..

- « هبونى حياته يا أهل المدينة المسحورة ! »

كذا صاحبت (عجير) وهى ترفع كفها بطريقة أمرة .. صاح أحدهم فى احتجاج :

- « هذا لن يكون يا (فو - لى) ذات الغمازتين .. إن مكانه هو قصر الحاكم ، حيث يلقي جزاءه .. »

من نطاقها أخرجت بعض ثمار الفاكهة ، وقذفتها على المنضدة أمام البائع وقالت :

- « هل أنت راض يا (ماو - شون - قه) ؟ »

نظر إلى ما وضعته ، وقال فى تردد :

- « راض يا (فو - لى) يا ذات الغمازتين ..

ولكن .. »

طَوَّحَتْ بِضَفِيرَتِهَا الْجَمِيلَةَ إِلَى كَتِفِهَا الْآخِرِ ، وَصَلَحَتْ :

- « دَعَهُ وَشَأْنَهُ يَا (مَاو - شُون - قَه) .. قَدْ
نَلَيْتَ ثَمَنَ مَا سَرَقَ مِنْكَ ، وَلَوْ كَانَ لِمُعْطَى الْعَظِيمِ
خَاطِرٌ عِنْدَكُمْ فَأَنَا أَسْأَلُكُمْ أَنْ تَطِيعُونِي .. »

بَدَأَ عَلَى الْقَوْمِ أَنْ لِلْمُعْطَمِ الْعَظِيمِ خَاطِرًا كَبِيرًا ،
وَبَدَّعُوا يَتَفَرَّقُونَ فِي حَيْرَةٍ ..

أَشَارَتْ إِلَى الشَّابِّ الْمَذْهُولِ وَقَالَتْ بِلَهْجَةِ أَمْرَةٍ :

- « فَلْتَتْبَعْنِي .. »



٨ - جاءوا ليأخذوها ..

قدمت له بعض العصيدة مع السمك المملح ،
وكان هو جالسا على الأرض ساهما ينظر إليها في
فضول .. كان يتحدث الصينية ويفهمها لهذا لم تجد
صعوبة في فهمه وإفهامه ..

سألته وهي تربت على ظهر الكلب :

- « ما تلك الطريقة القتالية التي اتبعتها في
السوق ؟ »

ملأ فمه بالعصيدة الكريهة ، وقال :

- « اسمها (للملكة) .. إتني أتبع طريقة الماركيز
(كوينزبرى) العظيم .. استخدام القبضتين في حماية
الوجه والجذع ، ثم استغلال الثغرات لتوجيه لكمات
قاضية إلى الخصم (*) .. »

(*) يوجد هنا خطأ تاريخي كالمعتاد في (فلتازيا) .. إن (الماركيز
كوينزبرى) وضع قواعد اللعبة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ،
ومن الواضح أن قصتنا هذه تحدث قبل هذا بقرن أو قرنين ..

- « لا ركلات ؟ »

- « لا ركلات .. إن رياضة (ملاكمة الركلات)
أو (كيك بوكسينج) لم تَخترع بعد .. »
ساد الصمت قليلاً ثم سأله :

- « من أين أنت ؟ »

- « (جاك دلبيرت) .. إنجليزى .. »

- « لا تبدو لى من سلالة ملوك إنجلترا ، وأراهن
أنك لا تملك قصرًا ، فهلا حكيت لى قصتك ؟ »
حك شعره الأشقر المشعث ، وقال فى ملل :

- « لا شيء .. بحار على سفينة اعتالت للتعامل مع
التجار الصينيين .. قراصنة صينيون .. الموت لجميع
رجال الطاقم .. الهرب .. الأرض تلوح بعد أسبوع
فى المحيط ، ثم الوصول إلى المدينة المسحورة .. »
- « قصتك تحدث كل يوم »

- « بالفعل هى كذلك .. لهذا أخجل من سردها
لأنها مملة »

تأملت طبق العصيدة الذى فرغ منذ ثوان فى يده ،
وقالت :

- « سأقدم لك عرضاً .. ستقيم هنا فى مدرسة
الثعبان ، وتناول طعاماً ومكاناً للنوم .. فى المقابل
أريد أن أتعلم منك هذا الأسلوب القتالى الغريب ..
إنه يختلف كل الاختلاف عن أسلوبنا هنا .. وأنا
معلمة قتال ، ويجب أن أعرف أكثر »

ابتسم فى ارتياح ، وتأمل المكان حوله ، ثم قال :

- « ماذا لو طلبت فرصة للتفكير ؟ »

- « بل يجب أن تطلب فرصة للتفكير .. نحن هنا
فى آسيا القديمة حيث الزمن لا معنى له .. يستطيع
المرء أن يتأمل ويقلب الأمور بضعة قرون لو أن
العمر سمح له بذلك .. »

ولكنه لم يستغرق كل هذه الفترة ..

لقد عاد إليها بعد ساعتين راح يجول فيهما فى
الفناء الخلفى للدار ، وقال لها :

- « موافق يا (فو - لى) .. ليس لدى لختيار آخر .. »

تظاهرت بالبرود ، وإن اعترفت لنفسها بأنها
راضية كل الرضا عن هذا القبول ..

★ ★ ★

لا تدري متى ولا كيف استيقظت ، وكان القمر يتسلل
من النافذة الوحيدة للدار ، ونظرت إلى الكلب النائم
بجوارها .. كان نائماً بعمق ، لكن هذا لا يهم .. إنه
أحمق .. ربما أغبى كلب رأته فى حياتها ، ومن
الوارد أن يثور بركان أو يتحرك زلزال دون أن
يشعر ؛ لأنه لا يملك من غرائز الحيوان إلا الجوع ..

نظرت خارج النافذة فوجدت مجموعة من الأشباح ،
وسمعت مجموعة من الصيحات القصيرة .. إن الضيف
الجديد ينام هناك فى الفناء الليلة ، ولا يمكن أن تكون
هذه الأصوات بسبب كوابيس يراها ..

لم تنتظر أكثر وتسلفت النافذة لترى ما هناك ..

هناك ترى تلك المجموعة من الأشباح ، وتذكر أن

الفتى الوافد الجديد يقف فى وسطها ملوحًا بقبضتيه ..
يبدو أن نحو عشرة من الرجال ضخام الأجساد
يهاجمونه ، وهو يحاول بقبضته إنهاء القتال على
طريقة .. طريقة (كربورى) أو (كالبورى) هذا ..
كان يودى عملاً لا بأس به على الإطلاق .. وقد أسقط
منهم ثلاثة أو أربعة .. لكن الكثرة تغلب الشجاعة
على كل حل ، خاصة إذا كانت للكثرة تحمل السيوف
والخنجر ..

شعرت بغضبة عاتية بسبب تنيس دارها بهذا الشكل
المهين .. لا بد أن هؤلاء القوم لا يغتسلون بماء
(الليج - تسى) ، ولا يشعلون الشموع للماتشو .. وثبت
من النافذة ، وأدركت أنها ترتجف غضبًا .. أخذت
شهيقًا عميقًا لأنها سمعت صوت أستاذها العظيم :

« الخطأ الثالث هو أنك غضبى .. وحينما تكونين
غضبى يستطيع طفل أن يخدعك .. »

★ ★ ★

إنها تعرف كيف تتحكم في مشاعر الخوف والغضب ،
وكيف تأخذ شهيقاً عميقاً تتخيل معه - بل تدرك -
أنها احتوت النرفاتا الحيوية في الكون داخل رنتيها ،
وتشعر بها تسرى مع الدم إلى كل خلية منها .. ومع
النرفاتا تدنو ببطء من حقائق الأشياء ، وتستطيع أن
تفهم كيف تثب الذبابة من فوق المنضدة حين تهوى
بقبضتك عليها ...

إنها تعرف أن خصومها - مهما بلغ عددهم - ضعفاء
جداً واهنون جداً ، وتوشك على الشعور بالشفقة من
أجلهم ؛ لأنهم حمقى لا يدركون مغبة تحدى من يجيد
أسلوب (تشوب سيوى) ..

★ ★ ★

وقفت في الفناء في ضوء القمر ، وصاحت بأعلى
صوتها :

- « ألتم دنستم فناء دارى بأقدامكم ، وإبنى أمركم
بالرحيل حالاً .. »

تصلب الجميع .. ثم تخلوا عن حصارهم للفتى ، وبدأ
سنة منهم يتقدمون منها وهم يلوحون بأسلحتهم ،
التي تلتصق في ضوء القمر الفضى البارد .. وقال قاتل
منهم لم تتبين وجهه في الظلام :

- « يا (فو - لى) ذات الغمازتين .. ثمة شيء
معك يريدك اللتين .. شيء حول عنقك بالذات .. ونحن
راغبون بحق في حقن الدماء .. فقط أنت تفهمين
ما نريد قوله .. »

نعم تفهم .. المصيبة أنها تفهم .. ويعلم الله أنها
لا تدرى من أين عرفوا .. هؤلاء جاعوا إنن لذبحها
وهي نائمة وسرقة قلاذتها ، لولا أن تعثروا فى
الإنجليزى النائم ، ولم يكن سهل الهضم على ما يبدو ..
اتخذت أحد الأوضاع الأستاذية البارعة التى تعلمتها
من المعلم الذى لحق بأجداده : وضع اللقلق ..
لا أدرى ما هو بالضبط لكنه كذلك .. وقالت وهى تفتح
ذراعيها بأسلوب الإنذار النهائى :
- « لقد أردتم القتل .. فأناله ! »

لا تدري لما قالتها ، لكن هذه العبارة تتردد في كل فيلم (كونج فو) تقريباً .. حتى صار لها مذاق (صباح الخير) عند الاستيقاظ ، و (آلو) عند الكلام في الهاتف ..

وكانما كانت هذه هي الإشارة ، انقض الرجال عليها بأسلحتهم ، وهم يتصايحون ..

لكن (عبير) كانت تتواثب وتوجه للكلمات كالقط البرى .. تركل .. تتحنى .. تقف على نراعيها الممدودتين ، وتدور كالعجلة .. ثم تمارس الشيء الذى لا تصدقه مالم تره .. تثب .. تطير على ارتفاع ستة أمتار ، ثم تهبط على ساقها لتوجه لكمة إلى عنق أحدهم إن أسلوب (تشوب سيوى) يعمل جيذاً ..

★ ★ ★

« نعم هزمتهم فى القتال ، لكنى هزمت أنا نفسى حين عجزت عن كبح جماح غضبى ، وأرديت خمسة منهم قتلى ! إن الهزيمة أمام الغضب أشد خزيًا من ألف هزيمة بيد الأعداء ، وقد كففت عن تناول

للشأى لمدة عامين تكفيراً عن أرواح هؤلاء الأبرياء ! »

★ ★ ★

لهذا توقفت وقد أيقنت أنهم لن يستطيعوا مزيداً
من العنف ...

راحوا يللمون جراحهم وجراحهم ويرحلون ..

جثت على ركبتيها لترى الفتى الذى كانت لثته تتزف ،
والكدمات تملأ وجهه وما حول عينيه ، فسأعده على
النهوض .. قال وهو يبحث عن ساقين يقف عليهما :

- « آى ! إن تقاليد الضيافة هنا غريبة نوعاً ..
لم أتوقع .. آى .. كل هذا الترحيب .. »

- « إنهم ودودون هنا .. هل نسيت السوق ؟ »

- « ولماذا يفعلون .. آى !! هذا ؟ »

- « لنفس السبب القديم قدم التاريخ . لدى شىء
لا أريد أن أعطيه لهم وهم يريدونه . »

- « آى .. وما هو ؟ »

ابتسمت في غموض ابتسامة لم يرها في ضوء القمر ، وقالت بلهجة ذات معنى :

- « هذه أشياء لا تحكى لغريب لم يلقه المرء إلا منذ يوم واحد .. »

- « هذا صحيح .. آى .. »

قلها في خجل ، وصمت .. مرت هنيهة ثم قالت :

- « لكنك أنقذت حياتى .. شكراً لك .. »

- « لا أحد يستطيع إنقاذ حياة فتاة تقاتل مثلك .. »

هذا شرف لا أدعيه ، ولعلك أنقذت حياتى للمرة الثانية »

★ ★ ★

مر يومان ..

وأدركت (عبير) أن القصة لم تنته نهاية سعيدة

بعد ..

سيعود (جيانغ - سه) لأنه من طراز الأوغاد

المثابرين الذين لا ييئسون بسهولة .. من الحكمة

إن أن تنتزع القلادة وتخفيها في مكان آخر .. صحيح
أنها في أمان لا بأس به حول عنقها ، وصحيح أنها
ستدافع عنها حتى الموت ، لكنها لا تضمن حياتها ..
إن رمحا يطير في الظلام ، أو هجمة غادرة مثل
التي حدثت أمس قد تقضى عليها ، وعندها سيحز
هؤلاء القوم عنقها ، وينزعون القلادة بالطريقة
السهلة : من أسفل العنق لا من أعلى الرأس !

مدت يدها إلى القلادة وهمت بنزعها ، لكن شيئا
غريباً حدث ..

لقد راح المعن يتوهج .. يتوهج .. يسخن .. يسخن ..

آه ه ه ه ! حزام من نار يحيط بعنقها حتى صار
من العسير أن تحاول ..

ما معنى هذا ؟ ما الذي ؟

ابتعت يدها عن القلادة ، هنا شعرت بها تبرد ببطء
وعادت إلى سيرتها الأولى ..

هذه القلادة تآبى التخلي عن عنقها ، والغريب أن
المعلم العجوز قد نزعها بسهولة تامة من قبل ..
كان القلادة تعرف أن مصيرها حول عنق (عبير)
للأبد .. ولكن .. يا له من مازق !

★ ★ ★

٩ - المباراة ..

فى الصباح جاء (سونج بيلو) ابن اللتين ..

كان وحيداً لا يصحبه إلا حارسان مدججان بالسلاح ،
وكان الفتى متأثراً مضطرباً بالعطر ، وقد حرص على
أن يطوح برأسه لتبدو ضفירתاه الطويلتان للعيان ..

كانت واقفة فى فناء الدار ، حين رأتهم قادمين
من بعيد .. تبادلت نظرة ذات معنى مع الإنجليزي
وقالت همساً :

- « هلت روائح الأحبة ! »

ثم شرحت له - باختصار - أن (سونج بيلو) وغد
رقيع وهو ابن (جيتغ - سه) الذى هو وغد غير
رقيع .. إنها لم تلق الأخير قط ، لكن من الواضح
أنه الشر يمشى على قدمين ..

وفى ثبات تعظمته من أسأذاها ، وضعت جذعاً
خشبياً فوق قطعتى قرميد ، ثم رفعت سيف يدها
وأطلقت صرخة عاتية : «

- « كاييبيبيبي !! »

وهوت على الجذع لتحطمه إلى نصفين .. فعلتها
كأنها لا تلاحظ القادمين ، وكأنها تقوم بنشاط يومي
رتيب .. كان هذا فى الوقت الذى دنا فيه الفتى
وحارساه منها ، فوقفت ومسحت يدها فى خرقة
قماش ، واتحنت بحركة احترام ساخرة وقالت :

- « يا للشمس والقمر ! ابن التنين العظيم فى
دارى الحقيرة ! »

لم يبد مستعداً لمجاراتها فى الكلام المسموم ،
وقال وقد بدا عليه بعض التوتر :

- « (فو - لى) .. أنا هنا فى مهمة محددة ..
وأبغى الكلام على انفراد .. أنت من القوة بحيث
لا تحتاجين إلى وجود هذا الأوروبى للناعم هنا بجوارك .. »

كور (جاك) يديه واستعد للشجار ، لكنها هدأت
من روعه بإشارة عابرة ودعته للابتعاد ..

فما إن اختلفى بها (سونج بياو) حتى تهلل وجهه
وهتف (أترأه فى شىء من الرقة ؟)

- « فو - لى) إلى متى ستبقيين بعيدة عنا ؟

أنت قوية ويمكنك أن تكونى منا .. إن المرء ليجد
عسراً بالغاً فى نسيان هاتين الغمازتين اللتين .. »

- « لو اختصرت الكلام لكنت شاكرة .. »

- « حسن .. لنقل إبنى أهيم بك حباً منذ موضوع
السوق إياه .. »

فلما رأى وجهها يربد وقبضتها تتكور ، هتف فى
جزع ملوحاً بكفه :

- « .. لكن هذا ليس موضوع زيارتى .. هذا
ليس موضوع زيارتى .. لقد أرسلنى أبى برسالة
مختصرة لك .. »

- « القلادة أو الموت .. »

- « أنت تتكلمين بلساني حقاً .. ودعيني أؤكد لك
أن أبى شرير بما يكفى .. أنا نفسى أرتجف هلعاً كلما
رأيت ما يقطه ، وأتساءل : أى نوع من البشر هذا ..
صدقيني إن عداوته غير مستحبة ، وأنا أخاف عليك
من مغبة شىء كهذا .. »

- « لذا جئت تطالب بالقلادة .. »

- « هذا سيمنحنا حياة أطول وأهنا .. لكنى على
كل حال جئت أقدم لك عرض أبى ، وهو يبدو عرضاً
لا غبار عليه .. »

وقدم عرضه : سيربح التنين القلادة فى قتال
شريف يقام فجرًا عند بوابة التنين الذهبى .. سيكون
على (فو - لى) أن تواجه خمسة من المحاربين
المقتدرين .. الواحد تلو الآخر بطريقته .. فإن
ربحت كانت القلادة لها بالكامل ، ولها أن تفعل بها
ما تشاء ، أما إن خسرت فعليها أن تسلمهم القلادة ..

قالت (عبير) مفكرة :

- « هذا يبدو غريباً .. لماذا لم يلجأ أبوك للحيل
القدرة ؟ »

- « لأن أبى يريد الحصول على القلادة سريعاً دون
إضاعة وقت ، وقد رأى مما فعلت برجاله أنك صلبة
قادرة على المقاومة فترة لا بأس بها .. هذا الحل لن
ترفضه لأن محارب (تشوب سيوى) لا يرفض التحدى
أبداً .. »

- « وهبنى رفضت ؟ »

- « سيلجأ إنن إلى الطرق الصعبة القدرة .. ونقى
أنه بارع فيها .. »

واستدار الفتى إلى حارسه داعياً إلى الانصراف ،
وقال قبل أن يرحل :

- « سنكون هناك فى الموعد ، ولسوف نعرف
ردك وقتها ، فلا تتجشمى مشقة إرساله لنا .. »

★ ★ ★

قلت (عبير) لمرافقها الإنجليزى ، وهما يتجهان

إلى بوابة التتین الذهبی (وكل مدينة صينية تملك
واحدة منها) :

- « المهم ألا تتدخل مهما حدث .. »

كان يحمل العصا وسيفین ، وإن لم تكن الحاجة
ماسة إليهما كما قلنا .. وقال لها لاهثاً :

- « لن تنجى .. ولو نجحت لبدأ الجزء الثانی
من الخطة .. »

- « وهو ؟ »

- « قتلنا والاستيلاء على القلادة .. ولكنك لم
تخبريني بأهمية هذه القلادة التي يحدث كل هذا
بسببها ؟ »

قالت وهي تجد السير :

- « إنها مهمة وكفى .. أقسم إننى لا أعرف سر
أهميتها ، لكن المعلم كان يعرف ما يقول .. »

ضوء الفجر الغامض الذى يأبى الاعتراف بأنه

أزرق ، ويرفض بكبرياء أن يكون أرجوانياً أو أحمر ..
هذا الضوء يغمر كل شيء معلناً تلك الفترة التي
يتردد فيها الوجود بين ليل ونهار ..

البرد يخترق الجلد ليدغدغ العظام ، والهواء النقي
الذي ينسى المرء أنه موجود ، للطيور تصحو من النوم
للتساءل : أين وكيف ومن ؟ لا صوت سوى ارتطام
أربعة أحذية بالكلاً المبتل الرطيب .. ولا صوت سوى
لهاث حامل السلاح ..

وأخيراً تلوح البوابة من بعيد مدثرة باللون
الأرجواني ..

لماذا هي بوابة التنين الذهبي ؟ سؤال غريب ..
بالتطبع لأن عليها نقشاً بارزاً لتنين يلتف حول نفسه ،
ويطلق النار من منخريه وفمه ، وهو نقش طلى بلون
الذهب وراح يتوهج في ضوء الشمس القادمة من
بعيد ..

وكان الرجال ينتظرون .. وللمرة الأولى ترى

(عبير) (جياتغ - سه) ، وأدهشها أنها للمرة الأولى تبصر من يبدو شريراً إلى هذا الحد .. كل الأشرار الذين يقابلهم المرء هذه الأيام يبدوون أناساً عاديين .. لكن التنين (جياتغ - سه) كان شيطاناً بكل البشاعة التى تخيل بها الرسامون صورة الشيطان .. فى تلك الأيام السعيدة كان الأشرار يبدوون أشراراً بحق ..

كان واقفاً وسط رجاله .. وحوله مجموعة من الحكماء ذوى اللهى التى تلمس الأرض ، وكان هناك خمسة من الرجال شرسى المنظر كلهم عراة الجذوع ، واضح أنهم مصارعون أو شىء من هذا القبيل .. وبالطبع كان ابنه (سونج بياو) وسط الواقفين .. وقفت أمام التنين وحاولت أن تبدو متماسكة ..

قالت :

- « قد جئت أيها التنين .. »

- « عرفت أنك آتية يا ذات الغمازتين .. ولم تتأخرى كثيراً .. »

ومد يده فى صدر ردائه فأخرج نصف القلادة ،
ولوح به فى وجهها باسمًا ، وقال :

- « نحن الآن نلعب بوضوح .. وكلانا يعرف
ما يريدہ الآخر .. »

ثم نظر إلى أحد الحكماء الملتحين من حوله وقال :
- « الحكيم (فاتج) سيكون هو الحكم .. والآن
يمكننا البدء .. إتنى مشتاق إلى الحصول على
القلادة .. »

- « وأنا كذلك .. »

وبحركات آلية أخرج الحكيم كيسًا من الأرز ، وفتحه
ليبعثر حباته فى الهواء معلناً بدء القتال .. وهى
الطريقة التى يتبعونها فى بدء مباريات (السومو)
اليابانية ..

المصارع الأول هو (كاي - ون - شياه) .. إنه
أصلع الرأس ذو شاربين عملاقين يحيطان بفمه ،
وله طريقة مميزة فى البصق على الأرض من فوق

كثفه الأيسر كلما شعر بالغيظ ، وهو مفاظ دائماً
بالمناسبة ..

(كاي - ون - شياه) خبير في أسلوب التمرغ
على الأرض حتى يعرقل خصمه ويربكه ، ويبدو أن
هذا الأسلوب يدعى (أسلوب الخلد) .. فلم تكذب
(عبير) تتخذ وضع بدء القتال ، حتى كان الرجل قد
تكور حول نفسه ككرة وانسل بين قدميها ، وهكذا
وجدت نفسها تتعثر فتسقط .. الجبل يثب فوقها لكنها
تكور قبضتها بشكل رأس الكباش المعروف وتدفنها في
معدته ، ينهض صارخاً ويصق ثم يواصل الهجوم ..

يواصل الخلد محاولة حفر أنفاق تحت رجليها ،
لكنها تركله في خصره .. في رنته .. في وجهه ..
وتمنعه من الإمساك بقدمها كي يسقطها أرضاً ..
تتواثب من حوله وضميرتها تتطوح يميناً ويساراً
فتخطف القلوب ، بينما يبصق بكثرة حتى إن المنطقة
كلها صارت زلقة لاتصلح للوقوف .. وفي النهاية
تجد الثغرة المناسبة في عنقه فتهاوى عليها بسيف

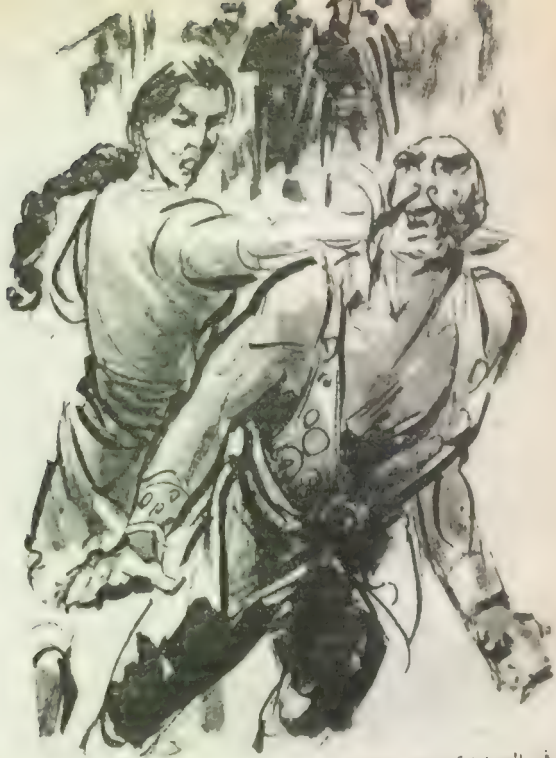
اليَدَ وللحظة تشعر كأنها شطرت الأرض ذاتها إلى
شطرين ..

وبعد ثوان يتمدد (كاي - ون - شياه) ..

يشير لها الحكيم بيده اليمنى ، ويشير إلى الثور
الرافد على الأرض باليسرى .. ويهرع (جاك) يقدم
لها بعض منقوع الشعير الطازج ، على حين يتقدم
المصارع الثاني ..

المصارع الثاني هو (شيوى لينغ جيون) وهو من
أساتذة الوثب ، ويبدو أن هذا الأسلوب يدعى (أسلوب
الجنذب) .. إنه رجل نحيل عصبى له ساقان طويلتان ،
وهو يبدأ الوثب دوماً باتخاذ وضع القرفصاء ثم يفرد
ساقيه ليحلق فوق الرعوس ، ويوجه بضع ركلات إلى
الرأس في أثناء التحليق .. إن أدائه جمالى لكنه خطر ..

وكانت (عبير) تعرف على كل حل كيف تحد من
خطره ، لأن المعلم شرح لها كثيراً أسلوب القضاء
على الخصوم الوثابين ، وذلك بقفزة مضادة عرضية
توجه ركلة إلى صدرهم .. وكراش ! لا بد أن هذا



وفي النهاية تجد الثغرة المناسبة في عنقه فتهدى عليها سيف اليد
وللحظة تشعر كأنها شطرت الأرض ذاتها إلى شطرين ..

للصوت الذى سمعتموه كان من ضلوع الرجل ، لأنه من
المستبعد أن يضع بعض البسكوييت فى جيبه قبل القتال ..
ويسقط (شيوى لينغ جيون) على الأرض ينزف
من فمه ، ويتقدم الحكم ليعلن انتصارها ..

الآن صارت مرهقة بحق .. ليس عدلاً أن تواجه
وحدها خمسة رجال محترفين ، وكان قلبها يخفق
كالطبل والعرق يغمرها .. لكنها نظرت إلى التنين
الذى كان يعض على نواجذه فى حنق ، فسرّها أنه
غاضب ، وأنها أفسدت يومه ..

إنها قوية .. قوية بحق .. ولسوف تقهرهم جميعاً ..

ييعثر الحكم الأرز فيتقدم الثالث ، ويدعى (قو -
هوا) .. إنه خبير فى أسلوب القتال الياباتى المعروف
باسم (كاراتى) .. والحقيقة أنه أتعبها بالفعل ..
كان سريع الحركة يعرف أين تكون الضربة التالية ..
وكان يتواثب كالسنور ويهجم كالأنقى ، مطلقاً تلك
الأصوات الرفيعة التى تشتت انتباهها ..

لقد خارت قواها بعد المعركتين السابقتين ، وخطر
لها أنها قادرة على هزيمة عشرين رجلاً بشرط
ألا يكونوا من خبراء القتال الآسيوي .. إن الشراسة
العادية مريحة جداً ويمكن القتال معها بسهولة ..
أما هذا ..

فى النهاية وبعدما أدركت أن المعركة ستطول
قررت أن تصرخ ..

صرخة مريضة كانت .. صرخة عاتية كانت .. وللحظة
شعرت بأنها ستنزح حبالها الصوتية .. وبالفعل كان
عليها أن تسعل دمًا بعد هذا .. الكثير منه .. ما يهم
هنا هو أن الرجل تجمد مذعورًا وهو لا يفهم سبب
ولا سر هذه الصرخة ، وفى اللحظة التالية أجهزت
عليه (عبير) بركلات متلاحقة سريعة .. والضربة
الأخيرة أرسلته للوراء مترين ليسقط على الأرض
فاقد الرشء ..

المصارع الرابع هو (لى - قوه - وان) .. وهو
يمتاز بـ ... لا .. لن أحكى التفاصيل لأن هذا صار

مملأ لا يضيف جديداً .. إن وصف القتال - كما قلت
مراراً - ممل كوصف الرقص أو وصف سيمفونية
لبيتهوفن .. باختصار : لا جدوى منه لا بد من أن ترى
الشيء الحقيقي لتفهم وتنفعل .. نتيجة المباراة مع
المصارعين التاليين هي (٢ - صفر) لصالح (عبير)
ولم يكن هذا هيناً لكنه حدث ..

فى النهاية وقفت تلهث وتنفض أمام التنين ،
وبصوت مبجوح قالت :

- « لقد انتصرت أيها التنين .. وحان الوقت .. »

ومدت كفها بانتظار القلادة ..

ابتسم التنين فى سماجة ونظر لمن حوله .. ثم
اتفجر يضحك مطوحاً برأسه للوراء كما يفعل كل
الأشرار فى تلك الأفلام .. ومعه راح الآخرون
يضحكون .. وأخيراً قال :

- « هل تتوقعين حقاً أن أمد يدي إلى عنقك وأعطيك

القلادة ؟ »

- « لا أرى ما يمنع .. لقد كسبتها بشرف ،
ولا داعى لأن تجعلنى أنتزعها بنفسى ؛ لأن هذا
يتنافى مع كونى فتاة مهذبة .. »

بدا الخبث على وجهه وقال :

- « هلاقت لى إذن أين نلك الفتى الناعم الأوروبى
الذى يراففك ؟ »

★ ★ ★

هنا قصر التنين :

يمكننا أن نرى عجلة التعذيب التى ربط إليها (جاك دلبيرت) الإنجليزى الذى انضم لـ (عبير) ، ويمكننا أن نرى القيود الحديدية المحيطة بعنقه وساعديه وكاحليه ، ويمكننا أن نرى كيف أن العجلة تستند بثقلها إلى قطعة حجر بارزة فى موضع اتزان خطر .. قطعة الحجر مربوطة إلى عشرة حبال ، وكل طرف من هذه الحبال يمتد مشدودًا إلى يد واحد من حراس عشرة يحيطون بالعجلة ..

لو جذب أحد الرجال - واحد فقط - الحبل لتحرك الحجر ، ولاختل توازن العجلة .. عندها تسقط .. تسقط أين ؟ تسقط فى بئر عميقة مليئة بسائل مشتعل .. إن الصينيين خبراء فى الحرائق ، وهم من اكتشف

البارود والألعاب النارية وأغلب أعيادهم عبارة عن سلسلة لا تنتهى من المفرقات .. لذا أؤكد لكم أن الموت ينتظر من يسقط فى هذه البئر ..

هذا هو المأزق الذى ابتكره التنين الساء ،
لـ (عبير) .. لو أنها كانت من حماقة إلى حد أن
تلتحم برجاله ، فلن تجد الوقت الكافى كى تمنع
واحدًا .. واحدًا فقط .. من التخلّى عن طرف الحبل
وعندها يسقط تابعها وسط النيران ..

وقفت (عبير) متصلبة ترمق هذا المشهد المروع ،
وتكورت قبضتها فى عصبية ..
قال التنين فى ثقة :

- « كما ترى .. لقد اختطفنا الفتى وجئنا به هنا
فى أثناء انشغالك بالمباريات .. وكما هو واضح فإننا
لن نحصل على القلادة إلا بالقتال ، وأنت بارعة فيه ..
أو بالحيل القذرة التى أفضّلها كهذه .. كما هو واضح
فالفتى تحت رحمتنا تمامًا ، وأى قتال من جانبك

سيزيد فرصة لحاقه بالجدود .. إن الغروب دان بعد
قليل ، وقد اخترت ساعة الغروب كي يتخلّى رجالي
عن حبالهم ما لم تبدى إيجابية أفضل »

من بين أسنانها غمغت :

- « أنت نذل .. أنت وغد .. أنت .. »

- « أعرف هذا .. لكنى أحب سماعه من الآخرين ..
والآن القلادة من فضلك .. »

- « ما زال أمامنا وقت قبل الغروب .. »

وجلست على درجات السلم تستعرض الموقف ..
تأملت وجه الفتى فوجدته يرمقها بنظرة ملتاعة كلها
خوف وهلع .. نظرة من نوع : لا تلعبى - دور -
البطلة - على - حسابى ..

جاء التنين فجلس جوارها ، وراح يضوع بعطر
خاتق .. ابتسم بعد قليل فى شيطانية وسألها :

- « تحبينه .. هه ؟ »

- « من ؟ »

- « تابعك الإنجليزى هذا .. »

قالت فى عصبية :

- « لا يهم .. لا يجب أن أهتم به حباً كى أحاول إنقاذه من الاحتراق .. »

نظر التتين إلى خارج النافذة ، وقال :

- « إن الغروب دان .. يجب أن تقررى سريعاً »

★ ★ ★

هكذا نجد أنفسنا فى الموقف الذى بدأت به
قصتنا ..

القوم ينتظرون ما عساه يحدث ، و (عبير) نفسها
وقفت على بعد أمتار من (جيانغ - سه) ، تمضغ
ضعفرتها الطويلة فى نهم وجزع ، بينما اشتعلت
المشاعل فى كل صوب لتعطى الكلمة الأخيرة لهذا الجو
الكابوسى الخائق .. رائحة الشحم المحروق الممزوجة
بالعرق ، والدخان الذى يهيج الأحبال الصوتية ،
وحرارة الجو الثقيلة .. ثم الوهج !

آه من الوهج الذهبى الكريه للنيران يرسم على
الوجوه القلقة ألف ظل وظل ! ظلال تولد وتتلاشى بذات
السرعة الخاطفة التى يولد فيها هذا القبس أو يخبو ..

ومدت يدها إلى صدرها تتحسس القلادة .. تستطيع
أن تتخلى عنها الآن .. إنها تراث الأجداد وقسم مقدس ،
لكن الضرورات تبيح المحظورات ..

مدت يدها إلى القلادة ، وعالجتها فى رفق ..
ولكن .. آى ! إنها ساخنة كالنار ! إنها قطعة من حديد
محمى يحرق الأتامل بلارحمة .. ككل مرة جربت
فيها عمل الشئء ذاته ..

كيف تعطيها للتنين إذن ؟

هنا سمعته يقول فى نوع من الفهم :

- « أعرف .. أعرف .. القلادة المسخورة تحاول
أن تظل سرّاً .. لكنها لن تصمد أمامى .. حاولى
بجهد أكثر ، وتذكرى أن هناك طرقاً سهلة للحصول
عليها .. أسهلها قطع رقبتك ! »

وهذه المرة قررت (عبير) أن تتخلى عن حملها
مرة واحدة .. فلتسامحنى أيها المعلم العظيم (هياو
- شى - فانج) .. لو كنت مكاتى لفعلت ما أفعله ..
استجمعت كل ما تملك من إرادة ، وجذبت القلادة .. اشتعل
للمعدن فى يديها وشمت رائحة اللحم المحروق ، وتطاير
الشرر فى كل صوب .. لكنها تماسكت .. الدخان
يملاً المكان ، وقد تراجع بعض جنود (جيانغ - سه)
للوراء وهم يدارون وجوههم .. الرائحة .. للدخان ..
اللهيب .. الألم ..

وفى النهاية سقطت القلادة على الأرض ، وبعدها
سقطت (عبير) فاقدة الرشد ..



أفاق من الغيوبة لتجد نفسها ما زالت وسط هؤلاء
القوم ، و(جاك) يسقيها بعض العصير من دورق كبير ..
كان ألم الحريق يمزق ويعتصر جلدها .. جلد كفيها
وجيدها .. لكنها قالت فى رضا :

- « لا بأس .. لقد أطلقوا سراحك يا (جاك) .. »

هنا سمعت صوتاً .. كان صوت التنين بالذات يقول :

- « دعك من السذاجة .. إن الفتى لم يكن أسيرنا

قط ! ترى ألم يخطر لك لحظة أنه مدسوس عليك ؟ »

مدسوس عليك ؟ حقاً ؟ اشرأبت عيناها إلى عيني

الفتى كي تتلقى الإجابة منهما مباشرة ، ولم يكن

الجواب مطمئناً بحق .. كان الجواب يقول بحق :

نعم لقد فعلتها ..

نظرت إلى التنين الذى وقف يستمتع بالمشهد ،

وفى يديه نصفاً القلادة ، وتسألت :

- « منذ متى ؟ من البداية ومع شراء النقاتق

لكلبى ؟ »

- « بل بعد المعركة الليلية التى هزمت فيها رجالى ..

لقد أرسلت للفتى من يده بالثراء وأول سفينة إلى وطنه ،

لو سرق القلادة منك فى أثناء النوم ، أو استطاع أن

يقتلك .. وقد قبل لكنه لم يجد الشجاعة الكافية ،

وهكذا شارك معنا فى تمثيلية عجلة الموت هذه .. »

- « أنت وغد ! »

- « صار كل هذا المديح مملأ .. إن الحيل القدرة

هى البحر الذى يحب التنين أن يسبح فيه .. »

- « أتكلم عنه لا عنك .. »

والحقيقة هى أن (عبير) وجدت هذا مفهوماً ..

أليس (جاك) هذا هو (شريف) كما يراه عقلها

الباطن ؟ إذن فالخيانة سلوك وارد جداً ، وكان عليها

أن تعرف هذا وتتوقعه .. إن من يتلقى خطابات

عاطفية ممن تدعى (رانية) ويحتفظ بها ، لجدير

بأن يتظاهر بأنه فى صفها حتى يجد فرصة لقتلها ..

قالت بلا مبالاة دون أن تنظر إلى (جاك) :

- « أعتقد الآن أنك ستتخلص منه بعد ما حصلت

على القلادة ؟ »

اتسعت عينا (جاك) رعباً ونظر إليها وإلى التنين ،

أما التنين فقال دون أن يرفع عينيه عن القلادة :

- « بالتأكيد .. بمجرد أن أفرغ من هذه .. »

- « إذن أرجو أن تمنحني هذا الشرف ! »

- « لك هذا .. لقد كنت محاربة شريفة بالتأكيد »

تحول (جاك) إلى طفل مذعور ، ويبدو أنه بلل
سرواله .. وارتجفت شفثاه وهو يقول للتنين:

- « لماذا ؟ لماذا ؟ »

- « لأن الأفعى لا يمكن تربيته يا بني .. إنها قد
تصلح للدغ أعدائنا ، لكنها ستلدغنا عند أول فرصة .. »

وزأر النمر الأليف لـ (جيانغ - سه) وهو يحاول
التملص من قيوده ، وكان قد تعلم من المحادثات
التي تطول بهذا الشكل أن الطعام قادم .. كل جدل مع
التنين ينتهى بالعشاء .. هذا مؤكد ، وقد بدأ لعبه
يسيل وعصارة معدته تتدفق طبقاتاً للقوانين البافلوفية
الصارمة عن الانعكاس الشرطى ..

قال التنين وهو يعود إلى عرشه :

- « الآن فليأت الحكماء .. أريد قراءة المکتوب على
هذه القلادة .. ضعوا هذين فى السجن حتى أفرغ »

★ ★ ★

فرغوا من الترجمة عند منتصف الليل ، وقد وضعوا
نصفى القلادة على وسادة موشاة بالذهب ، وراحوا
يفحصونها باختراع صينى عجيب بعض الشيء ، عبارة
عن ورق من الماء المقطر له قدرة غير عادية على
تكبير الصورة .. يبدو أن الغربيين يملكون شيئاً مماثلاً
يطلقون عليه اسم العدسة المحببة ، لكن ما من صينى
يحترم نفسه يثق باختراعات الغربيين خاصة إذا كانوا
هولنديين ، وكان اسمه (لى فان هوك) .. كانت العبارات
مكتوبة بلغة صينية قديمة جداً ، تعود لعهد قبائل
(الشانج) والتي كانت تعبد (الشانج تاي) ..

أخيراً قال أحد الحكماء ويدعى (فنج - لى)
للتنين ، وهو يلمس الأرض بجبهته :

- « المجد لك أيها التنين العظيم .. إن هذه الطريقة
خطرة جداً ولا أحد يضمن ما يحدث .. »

قال التنين وهو يجرع المزيد من الشراب :

- « لا أحد يحصل على الأرز من دون أن يمشى
فى الأوحال .. »

- « إتنا سنفتح باب الجحيم ، وعندها لن نستطيع
التراجع .. »

- « لاتزعجنى أكثر ! »

هذه كانت من التنين طبعًا ، وطوح الدورق
ليصطدم بالجدار ويتهشم إلى ألف قطعة ، ثم إنه
جرد سيفه ونهض ملوحًا به :

- « فليقل من يأبى مساعدتى ذلك الآن .. وأنا
كفيل بأن أريحه من آلام كثيرة آتية »

وتبادل الحكماء للنظرات وأدركوا أن عليهم القبول ..

★ ★ ★

١١ - إنها تعمل !

بدأت التجربة عند مساء اليوم القالى ..

كان الظلام والبرد يغطيان المدينة ، لكن مسيرة
التنين ورجاله وحكمائه كانت تبدد البرد والظلام بكل
المشاعل التى يحملونها ، وهم يتجهون إلى خارج
المدينة .. إلى مقبرة المحاربين التى توجد على بعد
ألف خطوة من أسوار المدينة ، وهى عبارة عن كهف
واسع فى الجبل ، لا يجسر أحد على الدنو منه ..

★ ★ ★

« الفكرة هنا أن ما كتب على القلادة رهيب ، ويفتح
أبواباً من الشر لم يحلم بها الحكماء قط .. فقط حين
يلتحم النصفان يكتمل الهول ، ويعرف الإنسان ما لم
يكن له أن يعرف .. »

★ ★ ★

وكان (جياتغ - سه) بحاجة إلى القوة ، وقد عرف
من الأسلاف والشيوخ مقدار تلك القوة السديمية
التي تمنحها القلادة الكاملة لمن يملكها .. لكن من له
بالقلادة الكاملة الآن ؟ .

★ ★ ★

« لو وجد (جياتغ - سه) هذا النصف ، فلسوف
ترتجف الأجنة في بطون أمهاتهم لهول ما سيسمعون .. »

★ ★ ★

وسط الحراس تمشى (عبير) وجوارها (جاك) ،
وقد كبلا بالفلكة على الطريقة الشهيرة ، التي تجعل
الرأس والكفين يخرجان من لوح خشبي يحمله
السجين على كتفيه .. وكلاهما لا يعرف ما عليه
أن ينتظره .. إنه الموت طبعاً ، ولكن كيف ؟ هذا هو
السؤال ..

وتمنت (عبير) لو يظهر (المرشد) الآن ليخلصها
من كل هذا ، لكنها تعرف جيداً أن القصة الآن في

الذروة ولم تبدأ النهاية بعد .. مثلما يغلى اللبن ويحتشد
عند حافة الإناء قبل أن يهدأ أخيراً ويستقر ، وما كان
(المرشد) ليتجاهل قواعد القصة أبداً إلا حين تتمنى
هى أن تبقى أكثر ..

المشاعل فى كل صوب من حولهما ، بينما
المسيرة الغامضة تتقدم نحو مقبرة الجنود ..

يقف التنين أمام باب الكهف ، ثم يأمر من معه
بالتراجع جميعاً فلا يصحب إلا الحكيم المرتجف
(فنج - لى) ، ويحمل كلاهما مشعلاً .. ثم يتذكر شيئاً
فيشير إلى الجند كي يتركوا (عبير) تلحق بهما ..
- « أريدك أن ترى هذا .. فهو من حقك بالتأكيد .. »

فك الجنود ذلك اللوح الخشبي المقيت من حول
عنقها .. ثم تقدم الثلاثة إلى الكهف ..

وكان الكهف من الداخل عطن الراحة ، والوطاويط
تحتشد على الهوابط من السقف لكنها لم تخش الضوضاء
لحسن الحظ .. يمشون فى كثير من المشقة وسط

الصخور البارزة وفي الظلام الذى لا تبدده المشاعل
إلى هذا الحد ..

وفي النهاية يتوقف التنين أمام جدار صخرى
علاق ويرفع المشعل ..

عندها تراهم (عبير) بوضوح ..

★ ★ ★

كانوا مختلطين بالصخر كأنهم حفريات عتيقة ..
وساعد على هذا الانطباع أنهم كانوا ضخام الأجساد
إلى حد مروع .. ربما يصل طول الواحد منهم
إلى ضعفى قامتنا .. وكان الكلس يغطى ملامحهم
ودروعهم ، لكنك تستطيع أن تتبين أنهم غلاظ الملامح
بشعور الخلقة كالوحوش .. وكانوا يرتدون ثياب
القتال ، وقد تجمدوا فى أوضاع عشوائية كأنهم
لوحة جدارية مهيبة الضخامة .. لوحة ترتفع
بطبقاتها إلى عشرة أمتار فوق مستوى البصر ..

يخرج التنين سيفه فتتوقع (عبير) ما سيحدث ..
لا تعرف ما يقوم به بالضبط ، لكنه فى الغالب يتضمن
أن تسيل دماء عذراء هنا .. كل هذه الطقوس

السحرية تتضمن دماء عذراء ، وفى الغالب سيتم
نبحها الآن ..

لكن التنين كان مجدداً غير نمطى .. لقد استل السيف
ومزق به ساعده هو شخصياً .. ويسيل الدم .. دم
كثير راح يبعثره حول المكان ويلوث به الجدار
الحجرى ، بينما الحكيم يضع نصفى القلادة أمام
عينيه قصيرتى النظر ، ويغمغم بعبارات منغمة يبدو
أنها نوع من الابتهاال ..

الخطوة التالية كانت أن التنين لامس بالشعلة جسده
هو شخصياً ! نعم لامزاح هنالك .. لقد بدأ بإحراق
نفسه بأعصاب جليدية لاتهتز ، ولاننكر أن المنظر
راق لـ (عبير) كثيراً برغم أنه مربع .. هناك أمل
لابأس به أن يتحول التنين إلى شعلة ويموت ..

لكن الأمور ليست بهذه البساطة للأسف .. فقط
اشتعلت النار فى عبايته بضع ثوان ، فراح يتمرغ
فى الأرض والجدار الحجرى وهو يصرخ بعبارات لم
تفهمها ، كأنه جن تماماً ..

وأخيراً همدت حركته .. فرقد على الأرض كمرضى
الصرع الذين انتهت نوبتهم ..

فقط راح جسده يرتعش من آن لآخر ..

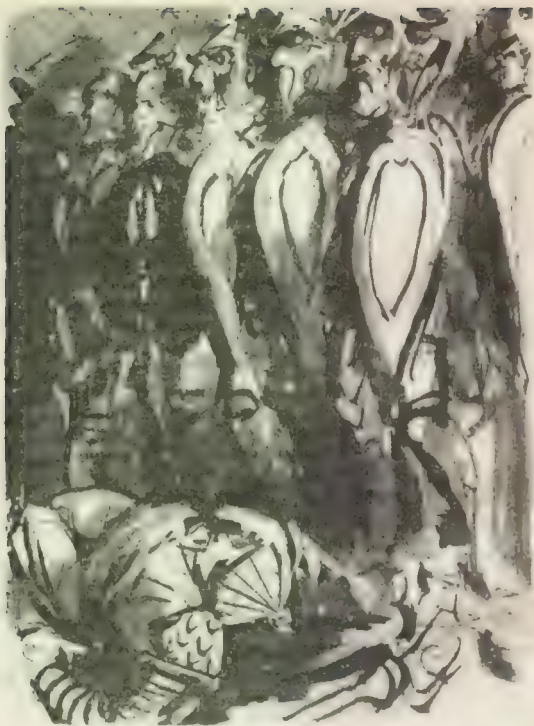
لا شيء سوى الصمت .. رائحة الشحم يحترق على
المشعل .. الدخان .. صوت خافت لحفيف النيران
والأنفاس الثقيلة .. ثم ..

ثم بدأ أول الجنود يتحرك ..

★ ★ ★

تراجعت (عبير) فى هلع للوراء ، وهى ترى هذه
المسوخ تهشم للصخر .. يتناثر الغبار من حولها .. تبذل
جهداً عاتياً كي تتحرر .. إنها لم تر تمثال العبد لـ (مايكل
أنجلو) ، ولو رآته لتذكرته الآن .. هذا التمثال غير
المكتمل الذى أثار رعب النحات نفسه .. إذ بدا له وكأن
العبد يحاول التحرر من الصخرة التى تحيط به ..

أول الجنود يتحرر من الجدار ، ويهبط على أرض
الكهف ، والغبار يتناثر منه وصوت قدميه الثقيلتين



وأخيرا همدت حر كنه .. فرقد على الأرض كمرضى الصرع الذين
انتهت يومهم ..

إذ تضربان الأرض الحجرية يثير الفزع فى القلوب ..
الغريب أنه كان مدججاً بالسلاح ، وكان لسلاحه قعقة
رهيبة .. جندى آخر يتحرر ..

الكهف يهتز من فرط هدير الأجساد المتساقطة ..

كانوا فى حالة جيدة ، إذا ما تجاوزنا عن القروح فى
جلودهم ، وبعض الأسجة المتحللة التى بدت من تحتها
العظام .. هذه أشياء لاتعوق القتال على كل حال ..

حوالى ربع ساعة .. استغرق الأمر نحو ربع ساعة ..
حتى تحرر كل الجنود المسجونين فى الجدار ، وكان
الزحام شديداً كما لنا أن نتوقع ، لذا احتشد أكثرهم
فى أعماق الكهف .. وكان لهم صوت منفر شبيه بخوار
الثيران .. حتى عضلاتهم تحدث صوتاً ..

ماذا كان من (جيانغ - سه) فى هذه اللحظات ؟
كان يرتجف انفعالاً ويرتجف رعباً .. ويضحك
بالهستيريا المناسبة ..

ماذا كان من الحكيم ؟ لقد فقد وعيه طبعا ..

ماذا كان من (عبير) - (فو - لى) ؟ كانت تترنح

محاولة ألا تتقيأ .. وكان ما تراه لا يصدق .. هذا هو
إن سر القلادة الغامض ؟

كان (جيانغ - سه) يردد :

- « الأجداد ! (شاتج تاي) ! جنود (الشاتج)
العظام الذين لا يشق لهم غبار .. بهم سأحكم العالم !! »

وكان الكهف قد تحول إلى ما يشبه حافلات وسط
القاهرة عند الظهر .. وهكذا أشار لها التتين كي
تخرج ، ولطم الحكيم على خده كي يفيق .. وفي
الخارج كان الواقفون قد سمعوا الأصوات الرهيبة ،
وفهموا بعض الحقيقة وليست الحقيقة كلها .. خروا
على ركبهم ورفعوا المشاعل غير مصدقين ..

في البدء خرج سرب كثيف من الطلويط المذعورة
كأنه نذير بما سيحدث ..

التتين يتقدم صاحب الوجه .. ووراءه للحكيم أقرب
إلى الجثة .. ثم (عبير) المرتجفة التي تلاشت
شجاعته تماماً .. بعد هذا يبرز أول الجنود .. يمشى

فى تؤدة وثقة .. له عين تحولت إلى تجويف أسود
كرهه ، ووجه خال من التعبير .. يقف على مدخل الكهف
وينظر من حوله ، كأنه الكابوس فى ضوء المشاعل ..
هووووووووه ! صيحة ردها الواقفون رهبة
وهلغاً ..

وصاح صائح منهم وقد تذكر شيئاً كهذا :

- « جنود (الشانج تاي) ! لقد أخرجهم من
سباتهم كما فعل الساحر الهندى منذ أعوام .. »
وقال قائل :

- « إذن هم موتى ؟ »

- « بل هم فى سبات عميق ، لكن القلادة تخرجهم
منه .. »

وبعد قليل بدأ المكان يزدحم بالجنود الخارجين من
الكهف .. حوالى ألف منهم كلهم له ذات القامة للضخمة
والتسلح المكتمل ، وذات الحركة المتصلبة المفزعة ..
زومبى لو كان هذا اللفظ معروفاً فى الصين ..

أخيراً استطاع التنين أن يقف أمام الحشود ،
وصاح :

- « أيها الجند الشجعان ! اتبعونى ! إنكم معى
تملكون العالم !! »

لم تبد علامات اهتمام على وجوه المسوخ الخارجة
من الكهف ، فعاد التنين يكرر فى غيظ :

- « اتبعونى ! إنكم معى .. سوف .. »

هنا أغمد أقرب الجنود إلى التنين رمحه بين
لوحي كتفيه ، ورفع بالرمح فى الهواء كأنه راية
خفاقة .. خفاقة من الألم طبعاً !

★ ★ ★

١٢ - الطوفان يجتاح المدينة ..

يا للمذابح ! إنها جميعاً تتشابه بطريقة مملة ،
لكن هذه المذبحة بالذات تختلف ؛ لأنها مذبحة يقوم
بها جنود متحللون خرجوا من الكهوف حالا ..

دعنى أؤكد لك أن المشهد لم يكن جميلاً .. دعنى
أؤكد لك أن دماء كثيرة سالت .. دعنى أؤكد لك أن
الصراخ كان يشق عنان السماء .. دعنى أؤكد لك أن
جل أعناق رجال التنين قد طارت من فوق الكتفين ..

لقد حسب التنين أنه قادر على السيطرة على هذه
الوحوش التى لا يمكن ترويضها ، وكان أول من دفع
الثنى .. ثم لحق به ابنه وهو يحاول الفرار ..

ووجدت (عبير) نفسها وسط غبار القتال ، ووجدت
مشغلاً ساقطاً على الأرض فالتقطته ، ومدت يدها
تعيّن الحكيم على النهوض .. لا يجب أن يموت .. ليس
الآن .. ليس قبل أن تفهم ..

كان الإنجليزى (جاك) يحاول الهرب والفلكة مازالت
تحيط بمعصميه وعنقه ، هنا لحق به أحد الجنود ..
كان بلا ذراع أيسر ، لكن ذراعه اليمنى كانت تحمل
سيفاً صديناً عملاقاً ، وكان هدفه بسيطاً : أن يحرره
من قيده بالطريقة الصعبة .. يعنى من دون تحطيم
لوح الخشب !

بكى الفتى متوسلاً ، لكن الوحش كان - بحق -
وحشاً ..

هنا قررت (عبير) أن الانتقام جميل ، لكن ليس
بهذه الصورة وليس أمام عينيها .. رفعت المشعل
وصرخت صرخة (تشوب سيوى) الشهيرة ، فتجمد
الجندى مذهولاً .. كان هذا كافياً لتدفن المشعل فى
وجهه ، ثم تحلق فى الهواء لتركله ركله قوية ،
وتهبط على الأرض لتدفع الدجاجتين : الإنجليزى
والحكيم إلى مكان آمن وسط هذه الفوضى ..

كان هناك منحدر على اليمين فلم تتردد فى أن تقذفهما
فيه قذفاً ، ثم تثب خلفهما .. وهاهم أولاء يتكحرجون بين

الأشواك فى الظلام ليسقطوا فى بركة صغيرة عند
أسفل المنحدر ..

أخيراً يمكنها اللهاث والتقاط الأنفاس ، بينما
المذبحة مستمرة هناك عند قمة المنحدر ..

★ ★ ★

قالت للحكيم وهى تغسل وجهها بالماء :

- « جميل جداً ما قمتم به .. أهنك ! »

قال لها مذعوراً :

- « لقد أئذرناه ، وقتلناه : إن شيئاً كهذا حدث مع

المساحر الهندى لولا أنه كان يعرف ما ينبغى عمله ..

لكن منذ متى يصغى التنين لأحد ؟ »

- « وهل هؤلاء الجنود موتى ؟ »

- « لقد تم تجميدهم منذ قرون فى حالة سبات

لا تنتهى إلا بطقوس معينة وفى حضرة القلادة ،

وفى كل مرة كان من يعيدهم إلى العالم يدرك مدى

ما تورط فيه ويجمدتهم من جديد .. »

- « جيمبيبيبييل ! كيف كان هذا يتم ؟ »

- « لا أحد يعرف ! ولهذا تخلص أبو (جيانغ -

سه) من القلادة كي لا تقع في يد الحمقى .. »

فكرت (عبير) قليلاً ، ثم عادت تسأل الشيخ

المبتل :

- ماذا كان ينبغي من إعادتهم ؟

- « سؤال غريب يا ذات الغمالتين .. لماذا يرغب

شرير في الحصول على جنود لا يمكن قهرهم ويمتثلون

لكل أوامره ؟ هه ؟ إن الحياة ملأى بالألغاز حقاً .. »

صمتت (عبير) وانتظرت حتى يأتي الصباح ..

فقط هشمت بسيف يدها الخشب المحيط بعنق الفتى

وساعديه ، وقالت له دون حبور :

- « أنت حر .. يمكنك الرحيل لو أردت .. »

★ ★ ★

وما كان الصباح ليطلع على أكثر سكان المدينة لأن

الجند اكتسحوا كل شيء ، وأعملوا سيوفهم ورماحهم
وقبضاتهم فى أهل المدينة ، ولم يكونوا ممن يسبون
النساء كعادة الغزاة ، بل كل ما يريدونه هو القتل ..

أشعلوا النار فى الشوارع ، وبعثروا المحاصيل
وسكبوا جرار اللبن ، وهدموا المعبد ، وحطموا
تماثيل (بوذا) .. وسال اللبن فى الطرقات مختلطاً
بالدم ، وحاول بعض النساء أن يقاوموا .. لكن قوة
الغزاة كانت قاهرة .. كان الواحد منهم قادراً على أن
يطوح بثلاثة رجال ؛ ليرتطموا بجدار على بعد عشرين
خطوة .. المشكلة هنا أنك لا تعرف ماذا يريدون
بالضبط ولا ما يحاولون إثباته .. هم لا يريدون مالاً
ولا سلطاناً ولا شهوات ولا طعاماً .. الاستسلام
لا يجدى معهم .. إنهم يتمتعون بنفوس طاهرة عفيفة
لا تبغى سوى القتل والذبح .. لا أكثر ولا أقل ..

★ ★ ★

وصحت (عبير) حيث رقدت جوار الغدير .. لم
يكن (جاك) موجودًا .. ورأت الحكيم يحدق فى
عنقها وقد اتسعت عيناه دهشة ..

- « عنقك يا ذات الغمازتين ! عنقك ! »

قالت فى ضيق :

- « ماذا عنه ؟ لم أحسبه بهذا الجمال قط .. »

قال وقد بدا كالمخبول :

- « لقد التهبت القلادة حول عنقك ، وتركت علامة
بارزة هناك .. هذه العلامة تمثل رموزًا بارزة محفورة
على ظهر القلادة ، ولا يمكن تبينها من الوجه لأن
النقش لا يتطابقان .. »

فى غباء تساءلت :

- « كل هذا جميل .. لكنى لا أفهم .. »

- « آثار الحرق على عنقك هى نقوش تحكى لنا
كيف نتخلص من سحر القلادة ! »

بدا عليها الفهم أخيراً وتحسست عنقها .. معقول ..
لقد صارت الوصفة السحرية المضادة منقوشة على
عنقها إذن .. ولكن :

- « لحظة .. لا بد أن هذه نصف الوصفة .. »

فتح كفه ليكشف عن نصفى القلادة ، وقال وهو
لا يخفى إعجابه بذكائها :

- « نعم .. لكن القلادة معى هنا ، ويمكن أن نضم
النصفين معاً .. »

- « أفهم من هذا أنك تنوى حرق عنقى بالنصف
الثانى من القلادة لتتكامل الرموز ؟ »

- « ليس إلى هذا الحد .. يمكننا أن نطبع الأثر
على الطين ونرى .. »

وهكذا غمس الحكيم نصف القلادة الأول فى الطين
ليطبع ما عليه ، ثم غمس النصف الثانى جواره ..
وتأمل الأثر بعض دقائق ، ثم تدلى فمه فى خيبة أمل ،
وقال :

- « للأسف .. يبدو أن القلادة معدة كي لا تسخن
منها إلا الأجزاء التى تعطينا الرسالة .. »

صاحت (عبير) محتجة :

- « لا تقل إنك ستحرق عنقى لمجرد قراءة الرسالة
كاملة ! »

ابتسم العجوز ولم يقل شيئاً ، إنما أخرج من
عباءته قطعة من الكبريت ملفوفة فى الجلد ، وحكها
فى حجر جاف فاشتعلت .. وضع نصفى للقلادة عليها
وانتظر حتى التهب المعدن وتوهج .. ثم ضغط النصفين
على جلد ساعده الأيسر .. وآيبييى ! تصاعد الدخان
ورائحة الشواء .. واستطاعت (عبير) أن ترى النقوش
واضحة على الجلد العجوز المجعد ..

صاحت فى جزع :

- « لماذا فعلت ؟ كنت أحتج فحسب .. »

- « الوقت .. أى ي ! لا يناسب الاحتجاجات ! »

وقربت رأسها من رأسه ، وأصغت إلى فمه العجوز
للمتهدل وهو يلفظ بكلمات السر ..
السر كاملاً ..

★ ★ ★

وفي المدينة - التي لم تعد كذلك - كان الجنود
منهمكين في القتل والتزيق والسلب .. بعضهم تأثر
نوعاً بالمقاومة فصار بلا رأس أو ذراعين ، لكنه
كان مصمماً على الاستمرار ..

اليوم يفرغون من المدينة المسحورة ، وغداً يخرجون
إلى العالم الخارجي .. ومن هناك تندفع جحافلهم ،
وهم لا يطلبون شيئاً من العالم سوى استرجاع أيام
المذابح السعيدة ..

إن ألف جندي ليس بالعدد الهين ، خاصة إن كانوا
من هذه العينة ..

فما يدرون إلا و (عبير) تبرز لهم في الشارع
الرئيسي بالمدينة أمام ساحة المعبد الذي تحول إلى
خراب .. كانت تحمل سيفاً عملاقاً في يدها ، وتلوح
به فوق رأسها ، وصاحت بأعلى صوتها :

« هلموا يا طعام الديدان ذوقوا هذا السيف .. »

تقدم عشرة منهم دون كلمة واحدة ، وقد انفتحت أفواههم لا ليسيل اللعاب بل الدم .. خطواتهم تهز الأرض هزاً ، وخوارهم يصم الآذان ..

صاحت صيحة حرب قصيرة ، ودارت حول نفسها فى الهواء ، ثم هبطت على ساقىها لتولج السيف فى جسد اثنين منهما .. وقبل أن يفر الثالث بادرته بضربة بين عنقه والكتف ..

إنهم يموتون ! بالحق هم يموتون !

وتدور (عبير) حول نفسها من جديد وتجتو على الأرض ، لتضرب بالسيف سيقان اثنين منهم ، ثم تثب فى الهواء لتطعن ثلاثة منهم ، ثم تتدحرج على الغبار وتنهض لينغرس السيف فى عنق واحد آخر ..

وهنا التفت ذراع حديدى حول عنقها ، ورأت نواوبة السيف تدنو من عنقها ..

لقد نسيت العاشر ؟ أين كان ؟

الذراع القوية تحملها في الهواء ، وتوشك على ..
على ..

هنا تخلت عنها القبضة قليلاً ، وسقطت على
الأرض .. رفعت رأسها لتجد الفتى الإنجليزي يوجه
الكلمات إلى خصر المعتدى .. لكلمات مضحكة جداً
تشبه الدغدغة لكنها شتتت اهتمام المسخ قليلاً ..

وهوى السيف لا عليها هذه المرة ، ولكن على الفتى
المتحمس .. لا بد أنه شطره إلى نصفين طولياً .. أنا
لم أر المشهد لكن (عبير) رآته ، وسرعان ما غرست
سيفها في بطن المسخ ، فأصدر خواراً ثم هوى على
الأرض .. يوم !!

كأنت تلحق بـ (جاك) لترى ما دهاه ، لكنها وجدت
أن هذا غباء ومضيعة وقت .. الاحتضار ترف لا يملكه
من شطروا نصفين بسيف محارب من (الشاتج تاي) ..
ربما استحق ما حدث له ، أو لم يستحق .. لكن ميته
تجعلها تسامحه على كل شيء .. لقد غسل بدمه
حقدتها عليه ..

استدارت إلى الجنود القادمين وصاحت :

« بحق (تاي) العظيم .. تراجعوا ... »

ثم لوحت بالسيف الملوث بالدماء وهتفت :

- « الآن تعرفون هذا السيف ، وتعرفون أنكم
نقتم ويلاتكم من قديم ، وتعرفون أنه يستطيع أن
يمزقكم حتى لو كنتم ألفاً نقصت عشرة .. وإننى
لأمركم بالعودة إلى سباتكم ... »

ثم - بالصينية العتيقة التى حفظتها من الحكيم -
هتفت مراراً :

« هوان يان تشاه .. هوان جينغقانغ تشاه .. »

ومعناها - إن لم تخنى الذاكرة - هو : من الصخور
جنتم .. وإلى الصخور تعودون ..

عندها فقط تراخت أجساد الجنود العملاقة المتحالة ،
وفى صمت بليغ بدأت المسيرة الصامتة البطيئة إلى
الكهف .. ألف جندي يتقدمون نحو الكهف الذى
جاءوا منه ليلتحموا بالصخور من جديد ..

وبدأت (عبير) تلهث ، وتستعيد دقات قلبها ..
هنا فقط تركت السيف يسقط من يدها .. وراحت
ترتجف ..
ترتجف وسط الميدان الخالى إلا من الجثث وبقايا
النيران ..

★ ★ ★

وحين جاء (المرشد) بعصاه يدعوها للحاق به
قالت له :

- « أخيراً .. »

تأبط ذراعها ، ومشى وسط كل هذا الهول طالباً
مخرج المدينة .. وسألها فى الطريق :

- « لم أفهم موضوع السيف هذا .. إنه غريب
على .. »

- « هذا السيف المسحور قادر على إبادة هؤلاء
المحاربين ، وهم يعرفون هذا ويهابونه حقاً .. وقد

دفنه فى الصخور جوارهم آخر من استحضرهم ..
كان هذا مكتوبًا على ظهر القلادة .. »

- « جميل .. جميل .. أنت لم تضيعى وقتًا .. »

- « فقط كان السيف بحاجة إلى من يستخرجه وإلى
من يزيل عنه الصدا .. كان بحاجة إلى تشحيم .. »

سألها فى عدم اكتراث كعادته وهما يخرجان من
بوابة التنين الذهبى :

- « وما نوع التشحيم الضرورى لسيف كهذا ؟ »

- « القلادة اشترطت أن يشحم بالدم ! دماء شيخ
عجوز على وجه التحديد ! »

ثم نظرت للوراء وهمست :

- « رحمه الله ! لقد قام بهذه المهمة بنفسه ..
ولو لم يفعل لما كنا هنا !! »

★ ★ ★

فى القصة القادمة نعود لعالم الأساطير الإغريقية ،
ونتعرف أشخاصًا مثل : (بارس) و (أخيل)
و (هكتور) والفاتنة (هيلانة) .. حيث أشرس
معركة عرفها الإنسان ، وحيث توجد مهمة واحدة
فى غاية الأهمية هى إنقاذ طروادة .

★ ★ ★

تمت بحمد الله

فانتازيا

مغامرات ممتعة
من أرض الخيال

روايات

مصرية الجيب

فليَدْخُلِ التَّينين !

وفى الخارج كان الواقفون قد سمعوا
الأصوات الرهيبة ، وفهموا بعض الحقيقة
وليست الحقيقة كلها .. خروا على ركبهم
ورفعوا المشاعل غير مصدقين .. فى البدء
خرج سرب كثيف من الوطاويط المذعورة كأنه
نذير بما سيحدث ... بعد هذا يبرز أول
الجنود .. يمشى فى تؤدة وثقة .. له عين
تحولت إلى تجويف أسود كريحه ، ووجه خال
من التعبير .. يقف على مدخل الكهف وينظر
من حوله ، كأنه الكابوس فى ضوء المشاعل ..



د . أحمد خالد توفيق

القصة القادمة

من أجل طروادة

التمن فى مصر ٢٠٠٥
دعائمه بالدرار الأمريكى
فى سنائر الدول العربيه والعالم

المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

٢٠١١٩٧ - ٢٠١١٩٧ - ٢٠١١٩٧

٢٠١١٩٧ - ٢٠١١٩٧

